سرد الأحلام في السير الشعبية:

(سيرة الملك سيف بن ذي يزن، سيرة الأميرة ذات الهمة، السيرة الهلالية)

Narration of Dreams in folk biographies
(Biography of King Saif bin Thi Yazan, biography of the princess with inspiration, Crescent biography)

إعداد

دعاء حسن البالكي
Doaa Hassan Al Balky

Doi: 10.21608/mdad.2023.280162

استلام البحث ٣ / ١١ / ٢٠٢٢
قبول النشر ٢٠ / ١١ / ٢٠٢٢

البالكي ، دعاء حسن (٢٠٢٣). سرد الأحلام في السير الشعبية: (سيرة الملك سيف بن ذي يزن، سيرة الأميرة ذات الهمة، السيرة الهلالية . ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٠)، ٤٧ – ١١٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

سرد الأحلام في السير الشعبية:
(سيرة الملك سيف بن ذي يزن، سيرة الأميرة ذات الهمة، السيرة الهلالية)

المستخلص:
هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على طبيعة البناء السردي للنص الحُلمي داخل نصوص السير الشعبية المختلفة؛ وانتقت نماذج منها؛ سيرة الأمير سيف بن ذي يزن، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وتغريبة بني هلال؛ من خلال تأمل عدة نقاط؛ طبيعة افتتاحية النص الحلمي في تلك السير ومدى ارتباطه بها، و تأمل دلالة موقع الراوي داخل النص الحلمي والسيرة، وتعرُّف سمات السرد الحُلمي في تلك النصوص بوصفه موتيفًا سرديًا، وطبيعة الأسلوب البنائي له ، والحلم بوصفه نبوءة محركة للأحداث السردية، وتأمل علاقته بأولياء الله الصالحين داخل السير الشعبية، والزمان والمكان ودلالتهما، ومدى انعكاس ذلك في رؤية الفرد للعالم الخارجي.
الكلمات المفتاحية : أحلام، سرد، سير شعبية، الأميرة ذات الهمة، تغريبة بني هلال، رؤية العالم.

Abstract:
This study aims to identify the nature of the narrative structure of the dream text within the various popular biographies texts. I selected models from them; The biography of Prince Saif bin zi- Yazan, the biography of Princess That Al Himma, and the exile of Bani Hilal; By contemplating several points; The nature of the opening of the dream text in those biographies and the extent to which it relates to it, and the contemplation of the significance of the position of the narrator within the dream text and the biography, and the identification of the features of the dream narration in these texts as a narrative motif, the nature of its constructive style, the dream as a prophecy that motivates the narrative events, and a meditation on its relationship to the righteous saints of God within Popular biographies, time and place and their significance, and the extent to which this is reflected in the individual's vision of the outside world
Keywords: dreams, narrative, popular biography, The Princess with inspiration, the strangeness of Bani Hilal, World Vision.

مقدمة:

عُرف الأدب الشعبي العربي فن السيرة الشعبية بوصفه ذلك الفن الذي تمتزج فيه عدة فنون مختلفة؛ مثل: الرواية، والغناء، ولعزف، وهو الفن الذي تناقله الناس عبر العصور حتى وصل إلينا. وتعد السيرة الشعبية نوعًا من القصص الشعبي الذي يعيش وينمو بدافع من اللاشعور الجمعي، ومصدر هذا الإحساس والتعبير شعور الفرد بالعقبات المحزنة والمكنونة في لاشعوره منذ طفولته حتى مرحلة التفرد والاكتمال.[١] وترتبط السيرة الشعبية بتاريخ شخص من أشخاص القبيلة أو أفرادها ووقائعهم وأحداثهم، وتغلب عليها المبالغات والخوارق التي تضفيها المخيلة الشعبية عليها؛ مما يدرجها في عوالم الخرافات والأساطير.

ويرى بعض الدارسين أن السير الشعبية - بقصصها وحكاياتها- في معظمها- ردود على مشكلات نفسية واجتماعية متقاربة المضمون والهدف، وهي تؤدي وظائف اجتماعية وتربوية، كما تتوجه لأكثر من قطاع في الحياة العامة، وتُغْرَس في اللاوعي الجماعي، وتؤدي أدوارًا وطنية وسياسية ونضالية.

وما يزيد تلك السير قيمة أنها تعد من أكثر الأشكال التعبيرية في الأدب الشعبي انفتاحًا على أشكال التعبير المختلفة، فعلى سبيل المثال نجد في سيرة الأميرة ذات الهمة، والهلالية، وسيف بن ذي يزن، وعنترة بن شداد وغيرها عدة فنون تعبيرية؛ مثل: الشعر، والأسطورة، والحكاية الخرافية.[٢]

ومن المعروف والبدهي أن السيرة - بوصفها أحد مجالات الأدب الشعبي- لم تمر بمرحلة واحدة، بل مرت بعدة مراحل، بداية من الشفاهية وتناقلها على ألسن القصاص، وبعد ذلك تطورت ودُوِّنَت، لتخرج لنا في أبهى صورة لها؛[٣] إذ تعد السيرة الشعبية مرحلة النضج والاستواء من مراحل تطور الأدب الشعبي، بداية من الحدوتة والحكاية الخرافية وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة؛ ذلك أن السيرة ذات بطل واحد، وذلك بالإضافة إلى تعدد الأحداث الكثيرة والمتصلة التي تعد بديلًا من الملاحم الغربية؛[٤] ومن ثم فإن دراستنا ستهتم وتنصب على السيرة في طورها الأخير الذي تطور عن الشفوية ليصبح مدونًا.

لقد دمج القاص والراوية بين جميع الأحداث والعصور في سيرته، فنجد أن

---

[١] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة-دراسة مقارنة. (مصر: المكتبة الأكاديمية، ط٥، ١٩٩٤م)،١٢٨.

[٢] انظر: منصور بويش، السرد الشعبي في التراث العربي: التشكل والأنواع، ص٩-١٠.

[٣] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة-دراسة مقارنة، ص٦٧- ٦٨.

[٤] انظر: فاروق خورشيد، "الزمان والمكان في السيرة الشعبية،" مجلة الفنون الشعبية٤٣ (١٩٩٤م): ١٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

السيرة جمعت بين عدة أزمنة: الجاهلي، والإسلامي، والأموي والعباسي؛ ومن ثم فهي مزيج أُلِّف ليعبر عن حالة الدولة الإسلامية واحتياجاتها، وقيل إن السيرة كانت تُروى تلبية للخليفة الواثق استفسارًا منه عن بعض الأمور، وقيل إنها أخذت شكلها المكتمل بعد حكم المعتصم بالله؛ لأن حوادث السيرة انتهت بنهاية حكمه.[٥] وبالرغم من ذلك، فإن القصص الشعبي والسير والخرافات لم تهتم بالتاريخ بقدر الاهتمام بالأحداث البطولية.[٦]

وقد ساعدت السير على الحفاظ على الإنسان العربي من الإحساس بالوحدة والغربة، تلك الوحدة التي كان يعاني منها في مصيره، وماضيه، وبيئته وبالطبع في مستقبله[٧]؛ إذ أوجدت السير الوحدة في الدين، واللغة، والموقع الجغرافي والمصالح، كما عملت على وجود علاقة مشتركة بين أبطال بعض السير؛ نتيجة للتأثير المتبادل؛ فأغلبهم اتسموا بالبشرة السوداء، مثل أبي زيد الهلالي والأمير عبد الوهاب، وهدفهم جميعًا واحد، هو نشر الدين الإسلامي، فاتفقوا بذلك مع هدف سيف بن ذي يزن، بالإضافة إلى أنهم جميعًا عانوا الاغتراب، ذلك المعادل الموضوعي للمتلقي في ذلك الوقت.

ولا يمكن إغفال مهمة السير التي تمثل إعادة تشكيل الشخصيات؛ إذ تستوقف السيرة الشخصيات التي مرت على التاريخ والتي ذُكرت فيه بإيجاز؛ وذلك لخلق أروع نماذج البطولة؛ ومن ثم تعيش أطول فترة ممكنة مع الشعب وفي كيانه؛ فقد عاشت شخصيات عنترة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة وأبي زيد الهلالي والأمير حمزة البهلوان وغيرهم في كيان الشعب حتى وقتنا هذا.[٨]

ولعل التشابه بين السير الشعبية المختلفة يرجع إلى وجود "بقايا قديمة" أصيلة في أعماق اللاشعور الجمعي، تتكرر على مر التاريخ والعصور، وهي نتيجة أفكار الأجداد وما قاموا به، فتأخذ الحكاية الشعبية أفكارها منها؛ ومن ثم نلحظ تشابه الحكايات في أغلب الحضارات؛ لأنها تنشأ من أعماق النفس البشرية، وتلك البقايا قد تُبنى عليها الحكاية أو تظهر في هواجس الأفراد وأحلامهم.[٩]

لذلك تميل الجماعة إلى خلق أشكال تحتوي على اللامعنى؛ لتخرج من دائرة المعنى ووطأة الحياة، ولا يعد ذلك استخفافًا بالحياة عندما تُترك بكل نظمها، ويُصْنَع شكل لا يحتوي إلا على اللامعقول؛ إذ تحاول الجماعة أن توهم نفسها بأن هذا اللامعقول

---

[٥] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص ٦٧-٦٨.

[٦] انظر: إيمان الغربي، ألف ليلة وليلة بين الذاكرة الشفاهية وتقييد المنطوق: الحكاية الإطارية نموذجًا، ص ١٧٠.

[٧] انظر: فاروق خورشيد، الزمان والمكان في السيرة الشعبية، ص ١٩.

[٨] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص ٧٣- ٧٤.

[٩] انظر: غراء مهنا، "الرمز في الحكايات الشعبية،" مجلة الفنون الشعبية٣٤ (١٩٩١م): ٢٥.

له الحق في أن يوجد وأن يتخذ لنفسه شكلًا؛ ومن ثم تحدث المفارقة، فاللامعنى يوصل المتلقي إلى إدراك معنىً ما للحياة.

ولعل الرابط بين طبيعة السير وأفكار الشعوب هو النص الحلمي؛ لأنه يقوم بتلك الفكرة، فهو قد يبدو بلا معنى، وبعد ذلك يصبح له معنى يشق له مساحة في الحياة الواقعية، ويضع لنفسه مساحة في أحقية وجوده، مثل الفرد الذي يعاني في المجتمع، لذلك نجد أن كثيرًا من الأحلام قد تبدو لامنطقية، وهي طبيعة أغلبها، ومع ذلك يتلقفها الناس ويرحبون بها، وكأن لها حق الوجود ساعين لتحقيقها، وعندما تتحقق يستبشرون ويهللون فرحًا، وكأن كل ذلك نوع من الانتصار على الحياة وصعوباتها، وعندما يسرد الراوي الحلم فإنه يكون بذلك قادرًا على خلق شيء مضيفًا له أحقية الوجود والتجلي.

ومن اللافت للنظر في تكوين السير الشعبية كثرة الأساطير، والأحلام، والعرافة، والتنبؤ بوصفها وحدات محورية وأساسية في التكوين البنائي للسير؛ ولكنها تمر بمصفاة إسلامية توظفها في إبراز المعاني الإسلامية؛ مما يؤدي إلى الوحدة بين تلك الأراضي لمواجهة الخطر الخارجي.[١٠]

ونظرًا لأن الحلمي تميز بأنه قوة شفافة، بالإضافة إلى كونه طاقة إبداعية، ووسيلة من وسائل استمرار الوجود، كما يتميز بلغة خاصة ودلالة رمزية لا حدود لها ولا نهاية[١١]؛ فإن هذا البحث سيقف على طبيعة الحلم في السير الشعبية، ووظيفته سرديًّا وبنائه، وذلك من خلال ثلاثة نماذج من أهم السير الشعبية، هي: سيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة أبي زيد الهلالي "الهلالية"، وقبل الولوج إلى نصوص الأحلام الموجودة فيها سنقف برهة لمعرفة مدى علاقتها بحكايات السير الشعبية.

أولًا- الأحلام وعلاقتها بحكايات السير الشعبية:

تعد نصوص الأحلام بنية قوية ومهمة في تحريك السرد داخل السير الشعبية، ولا يمكن التعامل معها بوصفها مجرد وحدة سردية اعتباطية؛ إذ تأتي بمنزلة مساعد للبطل. فأغلب المنامات والأحلام التي وردت في السير موضوع الدراسة جاءت لدعم البطل في مهمته وسيرته؛ إذ ورد في سيرة سيف بن ذي يزن واحد وعشرون حلمًا، وفي سيرة الأميرة ذات الهمة سبعة وتسعون حلمًا، وفي تغريبة بني هلال تسعة أحلام. وكانت تلك الأحلام عتبة من عتبات السيرة لمعرفة البطل؛ إذ إن كل أبطال السير بشرت بهم

[١٠] انظر: فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية. (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط١، ١٩٩٤م)، ٦٣.

[١١] انظر: شاكر عبد الحميد، الحلم والرمز والأسطورة- دراسات في الرواية والقصة، ص ٤٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الرؤى والأحلام، مثل: بُشرى ميلاد الأميرة ذات الهمة وميلاد عبد الوهاب.[١٢]

وعلى سبيل المثال جاءت بعض المنامات في سيرة "سيف" مساعدة للبطل، عن طريق دخول رائي الحلم في الإسلام ونطق الشهادة، وتسخير نفسه لخدمة البطل، وإعانته على تحقيق هدفه في نشر الإسلام، وذلك مثل المنام الذي ورد في المجلد الثاني، الجزء التاسع، ص٩١٢، وهو عن وجود شخص يأتي للرائي ويستحثه على تخليص نيته، وترك عبادة الأصنام والدخول في الإسلام، وعلى إثره نطق الرائي بالشهادة وعرض نفسه لخدمة للبطل "سيف"، وكذلك المنام الذي رأى فيه النائم أن هاتفًا يستهجن كفره ويأمره بتجديد إسلامه على يد الملك "سيف"[١٣]، والمنام الذي أتى إلى "سيسبان" الذي كان يمتلك الحصان الزنزلخت الذي يحتاجه الملك سيف في مهمته، فيأمره الهاتف أن يعطي الحصان لسيف وأن يعلن إسلامه.[١٤]

وظهرت تلك الطبيعة الخاصة بوجود أحلام على إثرها يُسلم الرائي ويساعد البطل في سيرة الأميرة ذات الهمة، من ذلك -على سبيل المثال لا الحصر-المنام الذي رآه الحكيم إقليدس، وعلى إثره أسلم؛ فزاد عدد المسلمين والجيش الإسلامي ضد الروم. ذلك بالإضافة إلى وجود شخصيات مساعدة في المنام؛ لدعم الحلم وتأييده، مثل: ظهور النبي ﷺ، والخضر وعيسى عليهما السلام، وهدفهم جميعًا تأييد البطل.[١٥]

وأحيانًا يرد الحلم كي يعزز قوة البطل ويعينه في لحظات الضعف واليأس، أو ليستنهضه ويبشره بالنصر إن استعان بالله، وأنه مُؤَيَّد من الله عز وجل ورسوله[١٦]، وهو

---

[١٢] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج١،ج١، د.ط، ١٩٨١م)، ٧؛ ومج١، ج٧، ص٦٢٨؛ وورد في سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٥،ج٤٢، د.ط، ١٩٨١م)، ١٢٨.

[١٣] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٤٠.

[١٤] نفسه، مج٢، ج٩، ص٩٦٠.

[١٥] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٧، ج٦١، د.ط، ١٩٨١م)،١٥؛ وسيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٦، ج٥٧، د.ط، ١٩٨١م)، ٥٢٥.

وراجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج١٨، ص١٨١٤؛ وج١٧، ص ١٧٤٣-١٧٤٤؛ ومج٤،ج١٦، ص١٦٢٥- ١٦٢٦.

[١٦] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الدراسات الشعبية، مج١،ج٢، ط٢، ١٩٩٩م)، ١٨٥.

وراجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٤، ج٣٨، د.ط، ١٩٨١م)، ٥٤٥؛ سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٢، ج١٩، د.ط، ١٩٨١م)، ٧٧٨.

يؤكد ما ذهبت إليه بعض الدراسات من أن بطل السيرة الشعبية يأتي مؤيدًا من الله ويأتي في حالة سلام مع القدر، فهو مؤيد من الإله الواحد، والجنة هي مصيره السعيد.

وفي أحيان يأتي الحلم بوصفه رؤيا مبشرة لدخول الرائي الجنة؛ كي يقوى عزمه على مساعدة البطل من خلال توضيح الجزاء السعيد له، وفي أحيان يأتي الشهيد ليخبر عن حاله بعد الموت، أو التنبؤ باستشهاد الرائي.[١٧]

وأحيانًا يرى الرائي بُشرى بقدوم البطل له لنجدته، أو يرى حلمًا أشبه بالمعراج تكريمًا له، مثلما رأت أم جميل في سيرة الأميرة ذات الهمة بعد استشهاد ابنها أثناء إحدى المعارك.[١٨]

وبالرغم من هذا الطابع الجيد والسعيد للحلم؛ فإنه قد يأتي في أحيان كثيرة منذرًا بوقوع كارثة كي يتجنبها البطل،[١٩] وإن غفلها وقع في كارثة لا تحمد عقباها.[٢٠] وفي أحيان أخرى يُنذِر بولد فاسد يعيث في الأرض الفساد، مثل الحلم الذي رأته زوج مصعب بن الوليد في بداية سيرة الأميرة ذات الهمة حول مولد الأمير ظالم الذي أشاع الفتن بين الناس.[٢١]

كما ورد الحلم تحذيرًا وعقابًا للرائي، مثلما رأى البطريق "فقطونس" الذي عزم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ تحول على إثره إلى مسخ نهق ثلاثًا مثل الحمير ومات، وكان ذلك عقابًا له لمحاربته الرسول. فلولا وجود الحلم لما مات ولا تحول؛ إذ إن الحلم شَكَّلَ عنصرًا سرديًّا لا يمكن الاستهانة به.

وثمَّ صنف وطبيعة مميزة لنصوص أحلام وردت في السير – موضوع الدراسة- عكس المعتاد؛ إذ إن المعتاد قيام الحلم بوظيفة البُشرى للرائي بقدوم البطل، أو حثه على الدخول في الإسلام ومساعدة البطل، لكنه في أحيان أخرى يأتي للعدو وينبهه بقدوم البطل؛ مما يؤدي إلى إثارة الأحداث، وخوف العدو من البطل، وعدّ العدة استعدادًا لملاقاة البطل؛ إذ يستيقظ الرائي وهو في حالة هلع وذعر، وذلك ينم عن قوة البطل ويؤكدها، فهو شخص لا يستهان به، ويعد هذا الحلم نوعًا من الإضافات والوحدات التي

---

[١٧] - الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٦٣، ص ٢٢٠؛ ومج٤، ج٣٥، ص٣٢٦؛ سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٨، ص٨٨١.

[١٨] - سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٢، ج١٥، ص٤٤٧-٤٤٨؛ مج ٥، ج٤٧، ص٥٠٩.

[١٩] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٦٢، ص١١٧.

[٢٠] - راجع: تغريبة بني هلال، غريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، وحروبهم مع الزناتي خليفة، وما جرى لهم من الحوادث والحروب المخيفة. (مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.ط، د.ت)، ٣٢٤، ٢٣٢، ٥١، ٥٠.

[٢١] راجع: الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٥، ص٤٠٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تبرز قيمة البطل وقوته؛ إذ يوصف في أغلبها بالسبع الجسور.[٢٢]

ولا يقتصر جهاد البطل على مساعدة الإنس ورفع راية الإسلام؛ إذ يقوم بتلبية نداء أحد الجن، مثلما حدث في سيرة سيف عندما سافر ورأى الأهوال في سبيل إنقاذ "عيروض" خادمه من الجن، وذلك إثر حلم رآه الملك سيف عن "عيروض" وهو يستنجد به؛ لأنه وقع وسط جماعة من جبابرة الجان فاستغاث به.[٢٣]

وتتسبب بعض الأحلام في تغيير وجهة البطل وحركة السرد؛ فبدلًا من أن يتجه البطل نحو طريق محدد، يصادفه شيء أو شخص يثنيه عن طريقه ويؤخره؛ ليذهب إلى طريق جديد ومهمة جديدة، مثل الحلم الذي رُوي للملك سيف بن ذي يزن، وعلى إثره توجه لإنقاذ أهل مدينة المريخ.[٢٤] ومثله ذلك الحلم الذي رواه أبو محمد البطال للأمير عبد الوهاب، وعلى إثره تحركت مجموعة من الجنود ومعهم الأمير لنجدة المسلمين وقتال الروم[٢٥]، وحلم الملكة صلبان الذي سافرت على إثره إلى دير النذور، وقبضت على أبي محمد البطال وأسرته إلى بلاد الروم.[٢٦] فبدلًا من أن يكون الحلم لصالح البطل، جاء لصالح الأعداء؛ كي تزداد الحبكة والصراع؛ فينتصر البطل في النهاية بعد عناء شريف.

ولا يمكن إغفال استخدام الحلم- سرديًّا - للخديعة؛ إذ كان "الحلم الخدعة" سمة ميزت نصوص الأحلام في السير الشعبية؛ ذلك أن تلك السير تقوم على صراعات وحيل بين طرفين، وجاء الحلم بوصفه وسيلة مساعدة لإقامة تلك الحيل التي تساعد في المعارك. ولأن الحلم الخدعة نوع من الكذب، فإنه ورد بكثرة على لسان الأعداء أكثر من العرب، وكأنه إيذانٌ بأن البطل العربي شريف لا يكذب ولا يخدع، في حين أن صفة الخداع والمكر هي صفة العدو الملعون.

وأشهر مثال على ذلك ما قام به عقبة الملعون في سيرة "الأميرة ذات الهمة"؛ إذ إن أغلب الخُدع نُسبت إليه ووردت على لسانه هو وغيره من أعداء البطل[٢٧]، وكذلك

---

[٢٢] راجع: تغريبة بني هلال، ص١٣٣، ١٨٠، ٢١٠؛ وسيرة الأميرة ذات الهمة، مج٤، ج٣١، ص٦٢؛ وسيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢،ج٦، ص٦١٥.

[٢٣] راجع: سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٠٢-٩٠٣.

[٢٤] راجع: نفسه، ص٩٣٣-٣٣٥.

[٢٥] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية، مج٣، ج٢٦، د.ط، ١٩٨١م)، ٥٢٧.

[٢٦] راجع: نفسه، ج٢٤، ص٣١٤.

[٢٧] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب ، مج٧، ج٦٩، ص ٦٥٨، ومج٣، ج٢٨، ص٦٦٦.

الحلم الذي ادعته "قمرية" أم الملك سيف كي تقتله.[٢٨] فالبطل شخص صادق يتحلى بالأخلاق الكريمة، وإن صادف واستعان بالحيلة - وهو نادر جدًّا- يكون هدفه خدمة الإسلام ورفع رايته، والتخلص من الروم الأعداء، مثلما احتال "أبو محمد البطال" على الروم ليستطيع البطل استكمال مهمته.[٢٩] ومن ثم يمكن القول بأن الحلم وُظِّفَ بصور شتى بوصفه مفتاحًا وأداة ووسيلة مساعدة لشخصيات السير؛ لتحقيق أغراضهم الشخصية[٣٠] أو البطولية.

يحاول المبحث الحالي دراسة طبيعة سرد الأحلام ومورفولوجيتها في السير الشعبية، وبخاصة "سيرة سيف بن ذي يزن"، و"الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب"، و"تغريبة بني هلال"[٣١]، كما يحاول الكشف عن تشكل تلك الأحلام مورفولوجيًّا. ونظرًا لأن السير هي نصوص شعبية مجهولة المؤلف والواقعية التاريخية؛ فلم تهتم الدراسة بما إذا كانت الأحلام الواردة فيها مفترضة وغير حقيقية أم لا؛ إذ يعني فقط الكيفية التي صيغت بها سرديًّا، وكيفية ورود الراوي فيها كونه مرآة عاكسة للواقع المجتمعي والإنساني، بالإضافة إلى النظر فيما يجب توافره في الأحلام الواردة في السير الشعبية لنعدها نصًّا سرديًّا، وهل للأحلام في السير - موضوع الدراسة- بناء خاصٌ يميزها عن وجودها في بناء سردي آخر؟ وما طبيعة وظيفة تلك الأحلام من حيث التشكل السردي، ومن يقع على عاتقه سرد الأحلام؟ أهو ظاهر أم مخفي ودلالة ذلك؟ وهل تتغير طبيعة الراوي حسب موقعه؟ وهل الغالب على الراوي أن يكون ذكرًا أم أنثى، وما دلالة ذلك؟ وهل له صلة بخصوصية الثقافة العربية؟

---

[٢٨] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج١، ج٢، ص٢٢٥.

[٢٩] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٩، ص٨١٧؛ مج ٤، ج٣٨، ص٥٥٦.

[٣٠] راجع: نفسه مج٤، ج٣٢، ص٨٥.

[٣١] للأسف اقتصرت الدراسة على "التغريبة" فقط لعدم استطاعتي الحصول على نسخة تراثية كاملة مكتوبة من "الهلالية"؛ إذ إن السير التي وجدتها هي طبعة مكتبة الأسرة لـ "عبد الرحمن الأبنودي" ونأيت عنها؛ نظرًا لمهاجمة د. شمس الدين الحجاجي – أستاذ النقد والأدب الشعبي في كلية الآداب بجامعة القاهرة-؛ إذ أنكر نسبة عبد الرحمن الأبنودي السيرة له، بالإضافة إلى وجود إشكاليات علمية حولها، فكان الابتعاد عنها هو الأجدر، وعثرت على نسخة للطبعة الدمشقية مكتوبة باللهجة الدمشقية وليست بالفصحى، مع علمي بأن الهلالية تدخلها لهجات أخرى وبخاصة العامية؛ لأنها تتداول شفاهيًّا. واطلعت على ما جمعه د. إبراهيم عبد الحافظ ود. خالد أبو الليل – أستاذا الأدب الشعبي- فلم أجد السيرة كاملة؛ بل مقتطفات منها؛ لأن دراستهما اعتمدت على تدوين "الهلالية" من مناطق معينة في الصعيد ودراسة الراوي الشعبي الشفاهي، بالإضافة إلى أنني أرادت الحصول على نسخة من "الهلالية" تكاد تقترب من الأصلية قدر الإمكان، فلم أعثر سوى على "تغريبة بني هلال" فقط.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثانيًا- افتتاحية النص الحلمي في السير الشعبية – سيف بن ذي يزن، الأميرة ذات الهمة، تغريبة بني هلال:

بداية ما طبيعة افتتاحية النص الحلمي؟ وما مدى ارتباطه بافتتاحيات السير الشعبية موضوع الدراسة؟ إن الافتتاحية تعد حجر الأساس في أي نص أدبي؛ لأنها تساعد على إدخال القارئ إلى عالم مجهول، وكأن الافتتاحية تأخذ بيده ليخطو مع الراوي إلى عالم جديد وبوابة جديدة ونافذة من منافذ الحياة؛ ولذلك اتسم السرد الشعبي بوجود افتتاحية خاصة به، ففي السير الشعبية تكاد تكون الافتتاحيات السردية واحدة، وتحظى باحترام جم ومكانة عالية، وتتكرر بصفة ملحوظة؛ ذلك أن أغلب افتتاحيات السير تدور حول مولد البطل والتنبؤ به، وكونه يولد غريبًا بعيدًا عن وطنه وأهله، وكأنها سمة أساسية لافتتاحية السير، وهو ما حدث في سيرة "سيف بن ذي يزن"؛ إذ ظهرت نبوءة لوالده بأنه سيولد له ولد من صلبه ينشر التوحيد بالله، ويقضي على جبابرة الكفر.

والأمر ذاته في سيرة "الأميرة ذات الهمة"؛ إذ ظهرت نبوءة لوالدها قبيل مولدها، فأُبْعِدَت عن أهلها لأنها فتاة، ولأن والدها اتفق مع أخيه على أنه من سينجب منهما ذكرًا سيؤول له حكم البلاد، فوُلِدَت "ذات الهمة"، فأنكرها والدها وطردها رضيعة خارج البلاد، وبعد فترة عادت لأهلها. كما تكرر أمر اغتراب البطل مع ابنها "الأمير عبد الوهاب"؛ إذ وُلد مغتربًا بعيدًا عن جماعته وسط إنكارهم له. والأمر ذاته حدث في "الهلالية" والحلم الذي رأته "خضراء الشريفة".

ومن ثم يتضح أن السير الشعبية كانت لها افتتاحية سردية خاصة بها، ومن هنا كان التأمل في نصوص الأحلام الواردة فيها، فهل كان لها طبيعة خاصة تميزها عن وجودها في نصوص أخرى أم لا؟

بتأمل افتتاحية نصوص الأحلام الواردة في السير، تبين أنها لم تأتِ على وتيرة واحدة؛ إذ تنوعت الافتتاحيات، والسؤال: هل تنوع الافتتاحيات مرتبط بوظيفة الحلم سرديًّا، وكأن كل وظيفة لها افتتاحية معينة؟ وهل لذلك التنوع دلالة أو تأثير في الوظيفة السردية للحلم؟

نظرًا لتنوع وظائف الحلم سرديًّا، ومن ثم تنوع الموضوعات؛ فقد تنوعت الافتتاحيات، فثمة أحلام جاءت لتساعد البطل من خلال دخول الرائي في الإسلام، وبعد إسلامه يعرض نفسه لخدمة البطل، أو لفتح أبواب مغلقة كانت عائقة أمامه، وبعض الأحلام بدأت افتتاحياتها بفعل الرؤية مباشرة، وذلك في سيرتي "سيف بن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة". أما في "تغريبة بني هلال"، فلم يصادفني حلمًا يحمل تلك الوظيفة.

بدأت نصوص الأحلام بـ "رأيت لك منامًا"[٣٢]، و"رأيت كأني قائمة على باب الميناء"[٣٣]، و "رأيت المسيح في النوم"[٣٤]، و"رأيت في نومي شخصًا أسمر اللون مليح الكون"[٣٥]، و"فرأيت النبي ﷺ وقد أتاني وأعاد حديث الرجل"[٣٦]، و"رأيت في النوم كأن الدير.."[٣٧]، و"رأيت في نومي كأني قد أشرفت.."[٣٨]، و"رأيت في النوم أن القيامة قد قامت.."[٣٩].

وفي نصوص أخرى تحمل الوظيفة السردية نفسها للحلم، جاءت الافتتاحية باستخدام صيغة فعل النوم: "أني نمت فأتاني من أخرني في منامي وقال لي ...[كذا]"[٤٠] و"لأنني كنت نائمًا وإذا بالنبي ﷺ وهو يقول ...[كذا]"[٤١].

وفي نصوص أخرى يُعرف الحلم من خلال السرد نفسه؛ إذ لا يبدأ بافتتاحية معينة، مثل: "إن أبيك أخبر الناس أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم في المنام..[كذا]"[٤٢]، و"إن عقبة نظر في تلك الليلة منامًا وقائلًا يقول.."[٤٣]، و" أتى إلى أبي شخص في منامه وقال له: لا تقتل.."، و" فقالت له: يا ملك أتاني شيخك الخضر عليه السلام"[٤٤].

وفي بعض النصوص جاءت الافتتاحية عن النوم، وكأنه فاعل يأخذ النائم من يده إلى عالم آخر خاص بالغيبيات، وكأن الرائي لا حول له ولا قوة، وأن ما يراه مقدرٌ عليه ولا مفر منه وبالرغم من إرادته، ومن الغريب في الأمر أنها كانت جميعًا تشير إلى حضور " النبي ﷺ أو الخضر عليه السلام" للرائي، فجاءت الافتتاحيات مثل:

---

[٣٢] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٦٢، ص١٥٤.
[٣٣] راجع: نفسه، مج٧، ج٦٧، ص٤٦٧.
[٣٤] راجع: نفسه، مج٧، ج٦٩، ص٧٦٠.
[٣٥] راجع: نفسه، مج٥، ج٤٣، ص١٩١.
[٣٦] راجع: نفسه، مج١،ج٩، ص٨١١.
[٣٧] راجع: نفسه، مج١،ج٥، ص٤٦٥.
[٣٨] راجع: نفسه، مج٥، ج٤٨، ص٥٧٩.
[٣٩] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الدراسات الشعبية، مج٤، ج١٧، د.ط، ١٩٩٩م)،١٧٤٣-١٧٤٤.
[٤٠] راجع: نفسه، مج٤، ج١٦، ص١٥٨٧.
[٤١] راجع: الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٥، ص٤٧١.
[٤٢] راجع: نفسه، مج٣، ج٢٢، ص١٤٤.
[٤٣] راجع: الأميرة ذات الهمة، مج٦، ج٥٤، ص٢٤٠.
[٤٤] راجع: سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٨، ص٨٧٣-٨٧٤؛ و مج٢، ج٩، ص٩٢٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

"أخذني النوم.. فأتاني شيخك"، و"أخذني النوم فأتاني رجل يمشي على الماء"[٤٥]، و"أخذني النوم فنمت فأبصرت في نومي كأن القيامة قد قامت.."[٤٦].

وثمة نصوص بدأت افتتاحياتها بـالآتي: "رأيت البارحة سيدنا محمدًا..، و "رأيت البارحة كأنني أصلي... و نمت البارحة وأنا متفكر في قولك .."[٤٧].

وثمة نصوص تميزت بها سيرة "سيف" فقط؛ إذ بدأت بوجود هاتف، وهي سمة ميزت نصوص الأحلام في سيرة "سيف"، مثل: "وإذا بهاتف قد أتاه وهو يقول له يا مصعب إلى كم هذا البغي والعناد.."، و"أتاني هاتف في منامي وقال لي يا طرفة إلى هذا التباعد.."، و"أتاني هاتف وقال لي يا رجل خلص نيتك.."، و"نمت تلك الليلة فهتف عليّ هاتف في منامي وهو شخص وعليه حلة من حلل المحبة.."[٤٨].

بتأمل افتتاحية نصوص الأحلام، تبعًا لوظيفة الحلم السردية، نلاحظ أن النصوص التي جاءت فيها الأحلام داعمة للبطل - من خلال دخول الرائي الإسلام - قد تنوعت تنوعًا هائلًا في الافتتاحية عكس الوظائف الأخرى، في حين أن النصوص التي جاءت بهدف الخديعة وخداع طرف للطرف الآخر، جاءت أغلب افتتاحياتها بطريقة مباشرة؛ إذ كان هدف الراوي الدخول في وصف الحلم وسرده مباشرة. ولأن سرد الحلم الحقيقي شيء مقدس له افتتاحية مقدسة، ونظرًا لأنها أحلام مختلقة، فلم تبدأ بذكر النوم لأنه مقدس، فعندما يُذْكَر "النوم" يعطي دلالة الصدق والقداسة، أو لعل الشخصية المخادعة أرادت الدخول مباشرة في الحلم كي لا ينشغل المتلقي بشيء آخر، وكأن الأمر عاجل لا يحتاج إلى وقت، فجاءت افتتاحية "حلم الخدعة" - على سبيل المثال لا الحصر - مثل الحلم الذي ادعاه "عقبة الملعون" للخليفة "المعتصم" ليوُقع به ولينتصر ملك الروم عليه؛ إذ قال "رأيت أيها الملك أن المسيح قد أقبل عليَّ وهو في الهيكل العظيم.."[٤٩].

وثَمَّ حلم آخر رآه الملك "كوجار" ورواه خادمه خدعة للأمير "عبد الوهاب"، ومفاده أن الملك كان سيقاتل الأمير، لكنه تراجع إثر ذلك المنام، وأراد الدخول في الإسلام كي يطمئن له "عبد الوهاب" عند سماع الحلم فيقتله الملك، فقال: "فبينما هو راقد في منامه إذ رأى نبيكم محمدًا صلى الله عليه وسلم قد دخل عليه وأمسك بيده .."[٥٠].

---

[٤٥] راجع: نفسه، مج٤، ج١٦، ص١٦٢٥-١٦٢٦؛ و مج٤، ج٨، ص١٨١٤.
[٤٦] راجع:الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٤، ص٢٩٠.
[٤٧] راجع: نفسه، مج١،ج٨، ص٧٠٦، ومج ٣، ج٢٦، ص٥٠٢، و مج٦، ج٥١، ص٢٦.
[٤٨] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج ٤، ج١٨، ص١٧٩٢؛ ومج٤، ج٢٠، ص١٩٦٤؛ ومج٢، ج٩، ص ٩١٢؛ ومج٤، ج١٦، ص١٦٠٩.
[٤٩] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٦٩، ص٦٥٨.
[٥٠] راجع: نفسه، مج٣، ج٢٨، ص٦٦٦.

ولا يمكن إغفال الحلم الذي ادعته "قمرية" والدة "سيف"؛ كي تقتله وتستأثر بالحكم لنفسها، فقالت لسيف: "يا ولدي ما لقيت لك خبر أن أقعد في المدينة ولا في قصري.."[٥١].

ولم يقتصر استخدام الحلم للخدعة على أعداء الأبطال فحسب؛ إذ استعان به "أبو محمد البطال" ليحتال على الأعداء، وهو قليل جدًّا؛ إذ إن أغلب نصوص "الحلم الخدعة" نسبت إلى الروم وأعداء الأبطال بصفة عامة، وذلك لينأى القاص العربي بالبطل عن الكذب، فهو صادق موثوق فيه ومتسم بالشيم العالية.

والحلم الذي ادعاه "أبو محمد البطال" قاله ليتمكن من دخول دير الروم، فاحتال على راهب، وروى الحلم الذي يبدأ بـ "أنه رأى السيد المسيح في النوم وقد أمره بالزيارة إلى قمامة وعين سلوان التي اغتسلت فيها مريم بنت عمران"[٥٢].

ولم تقتصر افتتاحية الحلم الخاص بالخدعة على الولوج مباشرة، ففي بعض الأحلام بدأت الافتتاحية بتأكيد فعل الرؤية في النوم لكسب المصداقية، ولأن ما يقال ويحدث في النوم هو خارج عن إرادة الإنسان ولا شأن له فيه، وهو تعبير عن اللاوعي، أو رسالة ورؤيا يجب تنفيذها كي يصدقها المراد خداعه. فعلى سبيل المثال قال الراهب النصراني "عبد الصليب" لـ "عبد الوهاب" كي يرق قلبه له، وبخاصة عندما علم بهزيمة جيش الروم، فادعى ذلك الحلم وقال: "رأيت في منامي شخصًا أبيض اللون مليح الكون.."[٥٣].

وكانت شخصية "عقبة الملعون" محط انتباه أبطال سيرة "الأميرة ذات الهمة"؛ لأنه عُرف بالخداع والمكر والحيلة وكرهه الشديد للمسلمين؛ إذ ادعى حلمًا رواه للملكة "زنانير"؛ لأنها أحبت لؤلؤًا المسلم دونه، فأراد أن ينتقم وادعى الحلم الذي بدأ بالآتي: "فرأيت في منامي السيد المسيح وقد أتاني.."[٥٤]، وكذلك الحلم الذي ادعاه العبد الأسود ليحتال على الخليفة المعتصم لصالح عقبة الملعون والذي بدأ بما نصه: "رأيت في نومي قائلًا يقول يا خبيث لم تعذب شيخ الدين.."، و"رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت ونزلت منها أقوام.."[٥٥].

وثَمَّ حلم كانت له افتتاحية مشابهة لتلك الافتتاحيات الخاصة بالنوم عن "عذيبة" ابنة "أبي محمد البطال" لتخدع الملك "زنعنع" فتنكرت في هيئة شيخ صالح، وقالت الحلم الذي جاءت افتتاحيته بما هو آتٍ: "بينما أنا البارحة نائم عند أهرام مصر وإذا قد

---

[٥١] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج١، ج٢، ص٢٢٢.
[٥٢] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٤، ج٣٨، ص٥٥٦.
[٥٣] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة ، مج٢، ج١٤، ص٣٠٦.
[٥٤] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٦، ص٥٣٢.
[٥٥] راجع: نفسه، مج٧، ج٦٥، ص٣٤٣-٣٤٤؛ ومج٧، ج٦٩، ص٦٠٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تجلى النجم الثاقب..[كذا]"[٥٦].

من خلال ذلك يلاحظ أن أحلام الخداع جاءت افتتاحياتها إما بعدم ذكر النوم، وما يدل على النص الحلمي، والولوج مباشرة إلى الهدف الذي يبغيه والذي ادعى الحلم من أجله، وفي أحيان أقل جاء ذكر الحلم والمنام لإكساب المصداقية لما يقوله.

وكان لنصوص بعض الأحلام وظيفتها السردية الخاصة بالتنبؤ بميلاد البطل ووجوده، فجاءت افتتاحياتها مميزة إلى حد ما؛ ذلك أنها جاءت بذكر فعل الرؤية المصاحب لظهور النبي ﷺ، فلم تأتِ بـ: "رأيت فيما يرى النائم" أو " رأيت منامًا" كما هو معتاد في أغلب النصوص النص الحلمية، إذ جاءت بذكر هذا التركيب لتنأى بنفسها عن التشبه ببقية الأحلام العادية، وكأنها رسالة للمتلقي بأن هذا ليس منامًا أو حلمًا عاديًّا قد يشوبه شيء من اللاوعي والعقل الباطن. وكأن ذكر الرسول ﷺ ليكسب الحلم الثقة والمصداقية والقداسة، فعندما يسمع المتلقي: "رأيت ابن عمي محمدًا صلى الله عليه وسلم في المنام.."[٥٧]، أو "رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها.."[٥٨]، فحتمًا سيصغي المتلقي بأذنيه باهتمام شديد في ترقب وانتظار وتشوق لسبب مجيء النبي ﷺ في النص الحلمي، مع العلم بأن الشيطان لا يتشبه بالرسول ﷺ ؛ فقد قال النبي ﷺ: "من رآني في المنام، فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي.."[٥٩]، فعندما يسمع متلقي السيرة ذلك، فسيظل مشدوهًا لانتظار الخبر الذي جاء به الرسول ﷺ كما أن وجود الرسول ﷺ يعد تشريفًا وتكريمًا للبطل، فهو ليس شخصًا عاديًّا بل مكرّمًا ومنزّهًا عند رسول الله لدرجة أنه أتى إلى الرائي ليبشره بنفسه، وهو ما يعد تمهيدًا وتأييدًا لسيرة البطل.

أما نصوص الأحلام الخاصة بالبُشرى، فقد جاءت افتتاحياتها مختلفة بعض الشيء، وإن كانت رسالة من الرسول ﷺ للرائي، من ذلك تلك الأمثلة: "قد رأت في منامها رسول الله ﷺ وهو يبشرها .."، و"رأيت في منامي محمدًا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه.."[٦٠].

ولعل التقديم والتأخير في ذكر لفظة "المنام" له دلالة، وهي التكثيف؛ ففي ميلاد

---

[٥٦] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٧٠، ص٨٤٨.

[٥٧] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١،ج٧، ص٦٢٨.

[٥٨] راجع: نفسه، مج ٥، ج٤٢، ص١٢٨.

[٥٩] يحيى بن شرف أبو زكريا النووي: شرح النووي على مسلم، كتاب الرؤيا. (د.ب: دار الخير، د.ط، ١٩٩٦م)، ٤٢٦.

[٦٠] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٢، ج١٩، ص٧٧٨؛ ومج٦، ج٥٧، ص٥١٥.

البطل يريد القاص أن يؤكد ما للبطل من مكانة، ولكيلا ينشغل القارئ بشيء آخر، أو يظن أنه أضغاث أحلام. في حين أن النصوص الخاصة بالبُشرى ذكرت لفظة "المنام" قبل كلمة الرسول ﷺ، ولعل دليل ذلك نص البُشرى من الرسول ﷺ للأميرة، وفيه يبشرها بالتخلص من عقبة الملعون وهلاكه، قد جاء فيه ذكر الرسول ﷺ في منتصف النص الحلمي: "وإذا بصوت يكلمني فالتفت، وإذا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي اصبري.."[٦١].

وثمة نصوص أحلام أخرى للبُشرى بدأت بالافتتاحية المعتادة: "فنامت ذات ليلة من الليالي فرأت في منامها .."، و" فرأى في منامه قائلًا يقول له يا جندبة.."، و" بينما هو ذات ليلة من الليالي قد غلب عليه الكرى إذ رأى .."[٦٢].

هكذا كانت الافتتاحية عتبة خاصة تبعًا لوظيفة كل حلم، وثمة أحلام جاءت لتغير حركة سرد الأحداث ووجهة البطل أثناء رحلاته ومعاركه، وجاءت افتتاحياتها تقريبًا بالبداية نفسها: "نامت فرأت في منامها سيد الأولين.."[٦٣] و"رأيت في منامي هذا خادمي عيروض بين جماعة .."[٦٤]، و"رأت في منامها كأن المسيح يقول قد آن أوان الرهبانية.."، و"رأيت في منامي المسيح.."[٦٥].

فعلى الرغم من أن أغلب تلك النصوص جاء فيها الرسول ﷺ والمسيح عليه السلام؛ فإنها لم تبدأ مثلما بدأت أحلام نبوءات ميلاد البطل مثلما ذُكر آنفًا؛ إذ بدأت بذكر المنام لتأكيد أن البطل لم يتحرك من تلقاء نفسه أو تبعًا لهواه، بل لرؤية رآها في منامه من الرسول ﷺ أو عيسى عليه السلام، وبناءً عليها تحرك البطل وتغيرت وجهته والأحداث.

وبالنظر في نوعية أخرى من نصوص الأحلام الخاصة بتعضيد الإسلام وتقوية عزيمة البطل، فإن الافتتاحية تراوحت بين "رأى في منامه" و" رأيت رسول الله" من جهة، والدخول في متن النص مباشرة من جهة أخرى؛ فعلى سبيل المثال تلك النصوص: "رأى في منامه ولذيذ أحلامه كأن حورية قد أقبلت عليه.."، و"رأيت في المنام كأني إياها قد التقينا في ميدان الحرب.."، و" بينما أنا في المنام إذ رأيت شخصًا يقول لي يا

---

[٦١] راجع: نفسه، مج٧، ج٦٨، ص٥٩٨.

[٦٢] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة ، مج١، ج١، ص٧؛ و مج١، ج١، ص٩٧؛ و مج٦، ج٥٤، ص٢٤٢.

[٦٣] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٢، ج١١، ص٣٨-٣٩.

[٦٤] راجع : سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٠٢-٩٠٣.

[٦٥] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٤، ص٣١٤؛ و مج٧، ج٦١، ص١٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ظالم أبشر فقد آن الاجتماع بالأحباب .."[٦٦] .

فكل هذه النصوص جاءت لتؤيد الرائي في مهمته، سواء تلك التي رويت عن الأعداء فاشتدوا في قتال المسلمين، والتي رويت على لسان الأبطال المسلمين فتحمسوا وزادت عزيمتهم؛ إذ جاءت النصوص البعدية لتلك النصوص النص الحلمية محملة بأفعال الحركة والهمة، كأن يُسلم أحدهم ويبني مسجدًا ويزخرفه بالذهب مباشرة فور استيقاظه من النوم، أو أن يهم الأبطال في قتال الأعداء والنيل منهم، أو حث الأعداء على قتل المسلمين، وكل ذلك يساعد على زيادة سرعة إيقاع السرد وتدافع الأحداث.

أما النبوءات والبُشرى التي جاءت لتقوية عزيمة البطل المسلم بتأييده من الرسول ﷺ، فقد جاءت على صنفين: أحدهما بدأ بذكر الرسول ﷺ مباشرة وفورًا، والآخر جاء ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ فيه بعد جملة: "رأى في منامه" أو "رأيت في منامي"، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذلك الحلم الذي رآه الأمير عبد الوهاب: " فرأى في منامه سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم .."، وكذلك الحلم الذي رآه الملك عبد الله بعدما أسلم: "رأى الملك عبد الله في منامه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد مسح على وجهه وصدره بيده المباركة..."[٦٧] .

وجاءت أحلام بدأت بالفعل مباشرة والحدث، مثل حلم الخليفة الواثق بالله أمير المؤمنين الذي أرشده على طريق الانتصار وشحذ الهمم: "إني رأيت الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهي تقول لي يا أمير المؤمنين .."[٦٨]، وكذلك الحلم الذي رواه الخليفة المأمون لأبي محمد البطال، وعلى إثره عزم "أبو محمد البطال" على الذهاب بحيلة منه إلى فتح مدينة "خرشنة": "فرأيت ابن عمي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو في أكمل شيء من البهجة.."[٦٩] .

ويمكن تأويل تلك الافتتاحيات بأنه بالرغم من ذكر الرسول ﷺ ، فإن الافتتاحية اختلفت ما بين ذكره مباشرة أو ذكر ما يدل على رؤيته في النوم، ولعل ذكره بعد تأكيد أن الرؤية حدثت في النوم - بالنظر في النص البعدي - يوحي بأن الحلم يبشر الرائي بما سيحدث في المستقبل القريب. وكي لا يُتهم في ادعائه رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذكر أنه جاء في المنام؛ إذ إن الانتصار على الروم لم يأتِ بين عشية وضحاها، بل سبقه عدة نبوءات تؤكد تأييد البطل من عند الله عز وجل والرسول.

---

[٦٦] راجع: نفسه، مج٥، ج٤٢، ص٧٨؛ ومج٦، ج٥٥، ص٣٤٤؛ ومج ٧، ج٧٠، ص٩٨١.
[٦٧] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة ، مج١، ج١٠، ص٨٦٧؛ و مج٣، ج٢٥، ص٤٣٣.
[٦٨] راجع: نفسه، مج٧، ج٧٠، ص٩٥٧.
[٦٩] راجع: نفسه، مج٤، ج٣٨، ص٥٤٥.

ولعل الأحلام التي جاءت مباشرة بفعل الرؤيا - مثلما ذُكر آنفًا – وردت على هذه الشاكلة لكي لا يتشتت ذهن المتلقي وينشغل بشيء آخر، بالإضافة إلى أنها تدل على عجلة الراوي وتأثره الشديد بما رآه، وكأنه في لهفة ليروي منامه.

وبالنظر كذلك في نصوص الأحلام التي تخبر بوفاة شخص أو التنبؤ بالاستشهاد أو الإخبار عن حال المُحْتَضَر أو المتوفى، فإنها تراوحت بين الدخول مباشرة - مثلما سبق - في النصوص النص الحلمية وذكر فعل النوم والمنام. مثال ذلك ما رأته الأميرة: "فرأت الأميرة ذات الهمة الراهب في المنام وهو في أحسن زي وعليه ثياب خضر .."[٧٠]، وما رآه عبد الوهاب: "رأى الأمير في منامه قائلًا يقول: قم يا عبد الوهاب فقد قبضنا روح الغريب.."[٧١]، وما رُوي عن رجل صالح: "فرآه بعض إخوته في المنام بعد وفاته، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي.."[٧٢]، والحلم الذي جاء فيه المهدي معاتبًا إحدى الجواري، فماتت على إثره: "فرأيت سيدي المهدي وهو داخل عليّ من باب هذه القبة وهو يعاتبني.."[٧٣]، والحلم الذي تنبأ باستشهاد الرائي الملك عبد الودود، إذ بدأت افتتاحيته بـالآتي: "قد رأى ابنته في القوم التي كانت زوجة ظالم ابن الأمير عبد الوهاب، وهي تقول يا أبتِ أنت الليلة ضيفي لأنك غداة غد شهيد.. [كذا]"[٧٤].

من الملاحظ أن الأحلام التي بدأت بذكر المنام والنوم قد جاء السرد بعدها هادئًا؛ لأنه يُطمئِن فقط؛ مما يعطي إحساسًا بالراحة والسكينة للرائي. في حين اتسمت الأحلام التي جاءت بالفعل مباشرة والإخبار عما رآه الراوي بسرعة الإيقاع السردي للنص البعدي، مثل: وفاة جارية المهدي فور روايتها للحلم، واستشهاد الملك عبد الودود في إحدى معاركه مع الروم.

وجاءت بعض الأحلام أشبه ما يكون بالمعراج؛ إذ تُخبر عن استشهاد الرائي أو متوفى ما، ومن ثم الصعود إلى السماوات العليا، ورؤية الملائكة، والجنة وأبوابها، ونهر الكوثر، والزمرد الأخضر والياقوت.

وجاءت افتتاحياتها مختلفة بعض الشيء عن الأحلام التي تكاد تحمل الوظيفة نفسها بخصوص التنبؤ بالاستشهاد أو الإخبار عن حال المتوفى؛ إذ جاءت على سبيل المثال فيما رواه "بحرون" للأمير "عبد الوهاب": "رأيت البارحة منامًا قال: وها هو يا ولدي، قال: رأيت كأن أبواب السماء قد فتحت وكأني قد ارتفعت إلى السماء.. "[٧٥]. ومن

---

[٧٠] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٩، ص٨٢٠.
[٧١] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٤، ج٣٣، ص١٥٩.
[٧٢] راجع: نفسه، مج٧، ج٦٣، ص٢٢٠.
[٧٣] راجع: نفسه، مج١، ج٨، ص٧٠١.
[٧٤] راجع: نفسه، مج٤، ج٣٥، ص٣٢٦.
[٧٥] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٥، ج٤٧، ص٥٠٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ذلك الحلم الذي رأته أم جميل عن حال ابنها جميل الرامي إثر استشهاده في إحدى المعارك مع الروم: "اعلمي أنني بينما أنا نائمة البارحة بعد أن قرأت وردي... فرأيت في المنام كأني دخلت إلى السموات.."[٧٦].

ولعله بدأ بتلك العتبة "رأيت البارحة" وذكر "المنام"؛ ليؤكد الراوي أن ما يرويه صادق، فهو منام لا دخل له فيه، ولعل ذكر "البارحة" يوحي بطول المدة، وكأنه ظل طيلة البارحة أي الأمس هناك في السماوات العليا، مثلما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج؛ إذ لم تحدث بالنهار أو في عجلة، بل أخذت وقتًا إلى حد ما، بالإضافة إلى ذكر لفظة "نام" وليس "حلم" ليكسبه المصداقية.

ومن الافتتاحيات اللافتة للنظر ما جاء بكثرة في تغريبة بني هلال - وبخاصة في النصوص التي جاءت لتُخبر بوقوع كارثة للبطل أو حدوث خطر-؛ إذ جاءت بذكر "النص الحلمي" وليس "المنام" مثلما اعتدنا في سيرتي "الأميرة ذات الهمة والملك سيف بن ذي يزن"، فعلى سبيل المثال لا الحصر: "الزناتي نام فرأى في منامه ولذيذ أحلامه أن أتته عربان مثل الجان ولهم سلطان كبير .."[٧٧]، وما رآه القاضي بدير: "رأى تلك الليلة حلمًا وهو أنه قابض على حمامة بيضاء.."[٧٨]، وما رأته ابنة الأمير دياب"وطفا": "فقد رأيت حلمًا في المنام أصبحت منه في أوهام.."[٧٩]، وما رآه الأمير حسن بشأن وقوع كارثة ومعركة ضارية: "فإن الأمير حسن رأى منامًا هائلًا في الأحلام.."[٨٠].

فبالرغم من وجود تلك الإشارات للبطل بوقوع خطر وكارثة، فإنه لم ينجُ منها؛ لأنه في بعض الأحيان استهان بها، وتلك الافتتاحية اتسمت بها تغريبة بني هلال.

وخلاصة القول إن الافتتاحيات تعد عتبات النصوص النص الحلمية التي جاءت في السير واختلفت، ولم تأتِ على وتيرة واحدة، وكان لكل افتتاحية وظيفة خاصة تابعة للحلم وداعمة له. وأغلب الظن أنها لم تختلف عبثًا، بل لإعطاء تمهيد وإشارات للنص، ولتحفيز المتلقي، وإسراع حركة السرد أو إبطائه.

ثالثًا- الراوي في نصوص الأحلام في السير الشعبية -موضوع الدراسة-:

للراوي في السير الشعبية مكانة مهمة ومرموقة؛ إذ يقع على كاهله عبء نقل السير وتداولها، وهو حجر الأساس والزاوية فيها، فلا توجد سيرة دون راوٍ، وهو الذي

---

[٧٦] راجع: نفسه، مج٢، ج١٥، ص٤٤٧-٤٤٨.
[٧٧] راجع: تغريبة بني هلال، ص٢١٠.
[٧٨] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، ص٥٠-٥١.
[٧٩] راجع: نفسه، ص٤١.
[٨٠] راجع: تغريبة بني هلال، ص٧٦.

يعيد إنتاج المروي إلى متلقين تلقوه من راوٍ قبله[٨١].

ونظرًا للمكانة التي يحظى بها راوي السير الشعبية، فإن الدراسة ستنصب على الراوي في النصوص المدونة وليست الشفاهية، بغرض تأمل موقعه ودوره في نصوص الأحلام الموجودة في السير الشعبية موضوع الدراسة، وتأمل طبيعته، وما إن كان النص يوظف راويًا واحدًا أو مجموعة رواة، والهدف من ذلك الاختيار، وما مدى الرؤية التي يطرحها ويقدمها ذلك الراوي، وإن كان للنص الواحد عدة رواة، فهل تتعارض تلك الرؤى أم تتكاتف لتبرز الرؤية العامة للنص؟ وهل تنقل إدراكات الراوي إلى المتلقي في تناغم وانسجام،أم في تنافر عن طريق التهكم والسخرية؟

وذلك بالإضافة إلى تأمل وظيفة ذلك الراوي داخل نصوص الأحلام في السير الشعبية، ومعرفة زاوية الرؤية لديه وحدودها، ومدى انعكاس كل ذلك على النص والمتلقي.

ففي النصوص الشعبية نوعٌ من التماثل، أي وجود رد فعل ناتج من ظاهرة ما، وهذا التماثل يحتاج إلى وجود عاملين وموضوع: العامل الأول هو الراوي والعامل الآخر هو المستمع. وعندما ينقل الراوي السيرة إلى المستمع تنشأ حالة يشترك فيها وجدان الراوي والمستمع؛ فيتحول المتلقي من سلبي مستمع فقط إلى إيجابي متفاعل مع الموضوع، والموضوع يرويه الراوي تبعًا لحالة المتلقي والعصر؛ إذ يشحن النص برؤيته ومن ثم يحدث التماثل؛ إذ يستمع المستمع إلى الموضوع؛ لأنه يماثل الأحداث التي يعيشها.

فمثلًا يظهر صراع المسلمين مع الروم في سيرة "الأميرة ذات الهمة" في ثنائية تعد رسالة في السيرة وتطرح على المتلقي سؤالًا عن كيفية التخلص من قوى العدوان بصفة عامة، ومن ثم الخروج من المأزق الوجودي الذي يعاني منه المتلقي.[٨٢]

فضلًا عن ذلك فالراوي يعد أداة وتقنية يستعين بها القاص كي يقدم العالم المصور، فيصبح بذلك العالم المتخيل تجربة إنسانية مرسومة ومتجلية في العقل الإنساني المدرك، ويتحول العالم القصصي إلى تجربة إنسانية مسجلة تسجيلًا يعتمد على اللغة، فهو خالد على مرّ الإنسانية.[٨٣]

وفي أغلب الأحيان يكون الحلم وسيلة لبث تجربة إنسانية معينة لا يمكن أن تُبَثَّ سوى من خلال راوٍ معين، وذلك الراوي متوافر في النص الحلمي؛ ليضفي مسحة من الصدق على التجربة، ولأنه يعد وسيلة للإدراك والوعي.

---

[٨١] انظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص٢٠٣.

[٨٢] انظر: يوسف أحمد إسماعيل، "السرد الشعبي بين سلطة الإقصاء وبلاغة الخطاب،" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية٣١ (٢٠١٧م) :١٠٨.

[٨٣] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص١٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ولم يناً راوي نصوص الأحلام عن ذلك، فكان يستخدم الحلم بوصفه أداة صدق يتقبلها المتلقي ببساطة تبعًا للمكانة التي حظيت بها الأحلام في الثقافة الإسلامية والعربية بصفة عامة، فالمتلقي يقبل الأحلام كما هي دون جدل؛ ومن ثم كانت أداة مهمة استعان بها القاص ليروي ويبث ما يريده في عقل المتلقي، ولأن المجتمع الإسلامي مرَّ بأيام صعبة وما يزال يمر، فلا بد من وجود تجربة إنسانية ملموسة يصدقها حتى يطمئن قلبه ويصل إلى سبيل الرشاد، وكأن الأحلام التي جاءت في السير جاءت لتعضد فكرة ما، فعلى سبيل المثال البطل مؤيد دائمًا من الله عز وجل في كل زمان ومكان، وهو رافع الراية الإسلامية والسلام، وهو معادل موضوعي وإسقاط للبطل المسلم في كل زمان.

ففي سيرة "سيف بن ذي يزن" تظهر عدة نصوص للأحلام تؤيد البطل في مهمته، ذكرها الراوي لتعضيد الفكرة، فإما أن يُسلم شخص ما؛ ومن ثم يساعد البطل في مهمته مع تأكيد قيمة البطل وسمو مكانته، من ذلك النص الذي ورد في المجلد الثاني من سيرة "سيف بن ذي يزن" في الجزء التاسع، والذي ورد كما يأتي: "فقالت له: يا ملك أتاني شيخك الخضر عليه السلام، وقال لي يا جذع: قفي قبال وادي الكلبيين وانظري ولدي إذا رأيته نزل االبحر فكوني له حاملة ولا تتركيه إلا على شاطئ البر؛ فإنه لا يقدر أن يخلص نفسه من البحر، وهذا ملك من ملوك الإسلام الذين يقيمون الشرائع والأحكام، فوقفت في المكان الذي قال لي عليه حتى لقيتك ...إلخ"[٨٤].

يلاحظ هنا ذكر الراوي عدة نقاط داعمة للبطل: أولها أن رائي الحلم رأى إحدى الجنيات، بما يدل على أن البطل مدعوم من الإنس والجن كي يصل ويحقق مبتغاه، وذلك أثناء إحدى معاركه ورحلاته لرفع راية الإسلام. وثانيها ذكر شخصية "الخضر" عليه السلام وقوله للرائية: "انظري ولدي إذا رأيته نزل البحر"، فنسبته البطل إلى نفسه يعد تشريفًا وتعظيمًا للبطل؛ لأن "الخضر" له مكانة مقدسة في الثقافة العربية وبخاصة الإسلامية، ونسبة البطل له أكسبته مسحة من القداسة والمهابة. وثالثها وصف الملك "سيف" في المنام بالقول الآتي: "وهذا واحد من ملوك الإسلام الذين يقيمون الشرائع والأحكام"، وكأن تلك النقاط جاء بها القاص على لسان الراوي ليؤكد فكرة تأييد البطل وقداسته.

وذلك الأمر لم يقتصر على سيرة "سيف" فقط؛ إذ ظهر كذلك في سيرة "الأميرة ذات الهمة" من خلال ما رواه الراوي عن "الأمير عبد الوهاب" من خلال حلم رآه، جاء فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ للأمير "عبد الوهاب" ليساعده في مهمته ويرشده إلى طريقه ويؤكد تأييد الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ له، وذلك

[٨٤] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٢٥.

النص الحلمي جاء في سيرة "الأميرة" في المجلد الأول، الجزء العاشر، وجاء نصه كما يأتي: "فرأى في منامه سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وهو يقول: يا سيف المجاهدين أبشر بالثواب من رب الأرباب، فقال له الأمير عبد الوهاب: يا سيدي يا رسول الله ما في قلبي حسرة إلا من هذا الملعون عقبة الذي اختار دين النصرانية على الشريعة المحمدية، فقال له النبي ﷺ: طب نفسًا وقر عينًا فقد قَرُبَ ما تباعد، فإذا أنت أصبحت فخذ أصحابك وارحل بهم من موضعك إلى وادي السنديان، فإنك ترى العجب، فاستيقظ الأمير عبد الوهاب من نومه باكيًا من فرحته برؤية الرسول صلى الله عليه وسلم البشير النذير.."[٨٥].

ونتج من هذا الحلم زيادة عزيمة البطل في قتال الروم وتحرير السبايا؛ إذ وصل إلى وادي "السنديان" وهناك رأى منامًا آخر ساعده، وظل كلما مضى في طريقه، رأى منامًا يرشده؛ فإن نفذ ما جاء في المنام، ظهر له آخر حتى يصل إلى مبتغاه. مثال ذلك النص الحلمي الآتي: "فنام الأمير عبد الوهاب تحتها وقد غرق في نومه، فسمع للشجرة أنين الثكلى وهي تقول: أيها الأمير صدق الله ورسوله، فإذا قمت من نومك، قل لأصحابك يقطعوني، وبهذا حكم الله تعالى فلا مرد لحكمه ولا دافع لقضائه، ثم إنك تقطع أغصاني واحملني من مكاني، فعليَّ يكون صلب عقبة الملعون على باب الذهب بعد أن يقتل ثلاثمائة ألف على صلبه من سائر الأمم، فانتبه الأمير عبد الوهاب من نومه وهو فزعان مرعوب، وسمع أنين الشجرة في يقظته كما سمعها في نومه.."[٨٦].

وفي أحيان أخرى يدعم الراوي فكرة قوة البطل وتأييده، وتمجيد البطل الذي يعد مهمة أساسية من مهمات الراوي في السير الشعبية[٨٧]، ويؤدي الراوي تلك المهمة، إما بالإطراءات المتكررة للبطل في متن النصوص السردية، وإما يلجأ إلى فكرة غريبة، وهي تمجيده وتعظيمه من خلال كابوس يراه العدو عن البطل، وذلك مثلما ورد في "تغريبة بني هلال" من خلال الحلم الذي رآه الزناتي خليفة عن بني هلال، ونصه: "الزناتي نام فرأى في منامه ولذيذ أحلامه أن أتته عُربان مثل الجان، ولهم سلطان كبير الشأن، ومعهم العبد الذي أتى إلى عنده وراح وخلى رفاقته، وشاف فارسًا أشقر مثل السبع الغضنفر على اسم الديب وقاضي العرب في حكمه، وملكوه بلاده وقتل أجناده، فقام من مقامه طايش العقل واستعوذ من الشيطان.. [كذا]".[٨٨]

من هنا يُلاحظ استخدم الراوي للنص النص الحلمي ليروي نصوصًا معينة بوصفها وسيلة لدعم فكرة يبتغيها، فالبطل العربي على مر الزمان مؤيد من الله عز

---

[٨٥] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج١٠، ص٨٦٧.
[٨٦] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج١٠، ص٨٦٧.
[٨٧] انظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص٢٠٤
[٨٨] تغريبة بني هلال، ص٢١٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وجل، وهو قوي لا شيء يقف أمامه، فعندما يسمع المتلقي ذلك، يزداد اطمئنانه، ويرى في ذلك تجارب إنسانية رائعة يمكن تحقيقها في سبيل التخلص من العدو، وهو ما يشكل مرحلة تأزم في نفس المتلقي.

والراوي لا يأتي على وتيرة واحدة أو نمط واحد، فقد يأتي بوصفه راويًا ثقة أو غير ثقة، وقد يظهر مشاركًا في الأحداث أو غير مشارك، وقد يأتي بوصفه راويًا عليمًا أو غير عليم، ظاهرًا أو مخفيًّا. وقد قسم النقادُ الرواةَ إلى عدة أنواع، حتى الراوي العليم منه راوٍ عليم منقح وراوٍ عليم محايد.

وراوي الأحلام في السير الشعبية – موضوع الدراسة- هو راوٍ ثقة، فكلامه يؤخذ كما هو دون جدل أو إعمال المنطق والعقل فيه؛ وذلك لأن الروايات الأسطورية والخرافية والمقامات والمنامات والبطولة الزائفة تعتمد على راوٍ ثقة؛ لاقتراب رؤية الراوي من رؤية المؤلف الضمني والقارئ الضمني؛ فمثلًا تُقْبَل الحكايات غير المعقولة بثقة؛ لأنها لم تخرج عن منطقة المؤلف والقارئ الضمني.[٨٩]

فمثلًا في السير ظهر النبي ﷺ لأحد الأبطال ولم يتعجب المتلقي؛ لأنه يثق في الراوي وفيما يقوله، وطالما دخل الكلام في إطار الأحلام والمنامات، فإنه يكتسب مصداقية أعلى لدى المتلقي. ونظرًا لما هو متعارف عليه في الثقافة العربية بشأن الراوي، فالرواية لا تُقبل من أي راوٍ دون وجود شروط له، وما دامت اتفقت تلك الشروط فيه، فإن ما يرويه يُقْبَل كما هو دون شك، فالمتلقي يُنْظَر إليه بوصفه العالم بكل شيء وهو مصدر المعرفة.

ولذلك أيضًا فإن الراوي في أغلب النصوص الشعبية يأتي راويًا عليمًا محايدًا، فبالرغم من ظهور صورته في القصص وبالرغم من معرفته بكل شيء، فإن موقفه يكون سلبيًّا، فهو في مرحلة وسطى بين الراوي العليم المنقح الذي يترك الشخصيات تتحدث بنفسها والراوي الأقل معرفة، ويقتصر دوره على الرصد والوصف فقط، فلكل شخصية موقف ما عدا الراوي؛[٩٠] إذ يكتفي بالعرض دون إحداث فعل تغيير أو تعديل في الأحداث السردية، فالفعل هو مهمة الشخصيات.

والراوي في السير الشعبية بصفة عامة - بوصفه القاص - يعد راويًا غير مشارك في الأحداث ذاتها في أغلب الأحيان؛ إذ يتخذ موقع المؤرخ أو المخبر، فهو لا يشارك في الأحداث، وفي الآن نفسه يسيطر على القصص الدينية والتاريخية والعاطفية؛[٩١] لأنه هو الذي يختار ما يعرضه للمتلقي وما يحذفه تبعًا لعدة عوامل، منها:

---

[٨٩] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص ٩٦.

[٩٠] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص١١٩-١٢٠

[٩١] انظر: نفسه، ص١٢٧.

حالة المتلقي، والغرض من النص الذي يريد الراوي أن ينقله.

أما راوي نصوص الأحلام، فإنه غالبًا - بل في أكثر النصوص – ما يكون راويًا مشاركًا؛ لأنه يقترب من الشخصيات الفاعلة فيصبح زمانها هو زمانه، كما يشاركها في الأحداث. واستخدمت الأحلام هذا الأسلوب، لأن الراوي مشارك في الحدث الذي يرويه، ومن ثم يعتمد على سرد الأفكار والأقوال، ويصور المخزون الضخم من المشاعر والأحاسيس، وأحيانا يلجأ إليه المؤلف ليُكسب عمله مصداقية، كأن يجعله شاهدًا على الأحداث التي يرويها.[٩٢]

فعلى سبيل المثال روى الراهب المتعبد في الصحراء الحلم الذي رآه بنفسه في سيرة "الأميرة ذات الهمة" فأصبح راويا مشاركا وشخصية فاعلة في الآن نفسه، وذلك حسبما ورد في المجلد الأول، الجزء التاسع، راويًا: "وإننى كنت في هذه الساعة نائم، فرأيت النبي ﷺ وقد أتاني وأعاد حديث الرجل علي، فقلت: يا رسول الله فما الحيلة أن أذنت لي فنولت إليه وجعلت روحي لروحه فداء فقال لا ولكن الساعة يصل إليك رجلان أحدهما أسود اللون مليح الكون وهو يتعصب لله ورسوله وفيه حمية للملة الحنيفية، فقل له إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك قد عرضت إليك حاجة وما خصصنا بها سواك وإن الملائكة أعلمتني بعذاب هذا الرجل وصياحه باسمي وأردت أن يكون شريكي في هذا الفوز بالثواب والرجل ينفعك لجاة يوم القيامة.."[٩٣]

وكذلك ما ورد في سيرة "سيف" في المجلد الرابع، من الجزء العشرين: "أتاني هاتف في منامي وقال لي: يا طرفة إلى كم هذا التباعد عنا؟ والله إني أحب لك الخير، فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا اسمى الشيخ جياد وإن أبوك[٩٤] لا يجوز له في دينه أن تتزوجي بابن عمك ولا يجوز ذلك إلا في دين الإسلام، فقلت له وقد هاج شوقي لسماع ذكر ابن عمي سقرقان، وإذا أسلمت من يأتيني بابن عمي؟ قال لي: أنا آتي إليك به، فقال لي: قولي حقًا صدقًا عدلًا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله، فأسلمت على يديه فغاب وعاد وأتاني بابن عمي وقد أسلم الآخر على يديه، فلما رأيته قمت له وسلمت عليه وأخبرته بإسلامي، فقال لي: وأنا أسلمت ... فنذرت نذرًا لله تعالى إن رأيت هذا الرجل لأساعده على قتل أبي وعلى حضور هذا الحسام من مكانه إليه، وأعلن إسلامي أنا وابن عمي على يديه ...إلخ ..[كذا]"[٩٥].

وفي أغلب الأحيان يأتي الراوي مشاركًا وشاهدًا على الأحداث فقط، فلم يرَ الحلم بنفسه ولكنه رواه عن شخص آخر، وكأنه راصد للأحداث وشاهد عيان، وذلك

---

[٩٢] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، ص١٢٠-١٢٦.

[٩٣] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٩، ص٨١١.

[٩٤] الصواب: أباك

[٩٥] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج٢٠، ص١٩٦٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مثلما ورد في الحلم الذي رآه الأمير حسن في تغريبة بني هلال: "فإن الأمير حسنًا رأى منامًا هائلًا في الأحلام، فلما أصبح الصباح استدعى أبا زيد ديابًا والقاضي بديرًا وكل الأمراء يخبرهم بالمنام ويقول:

يقول الفتى حسن الأمير أبو ... الدمع من فوق الخدود سجام
علي يا قوم اسمعوا لي قصتي ... وأنتم يا بو زيد ويا ضرغام
شفت في نومي منامًا رعبني ... وأصبحت منه موجعًا وسقام
قد شفت لآل عامر كلهم ... في بحر من غيث ثم غمام
ترابًا في مركب بالبحر سايره ... والموج يضربنا إلى قدام
والريح جالنا من شمال بلا خفا ... قد زاد منه الضر والاسقام
من ساعته جتنا سباع كواسر ... نزلوا البحر الدم عاد معام
وكان عاد مركبًا وسط البحور ... يقلب ونحن في الحروب نيام
عدنا جميعًا وسط لجة كلنا ... أكابرنا وصغارة وعلام
أما السباع توردوا من حولنا ... شبه الدياب لاحقات الأغنام
هو أن ماه البحر أحرق مهجتي ... وأما فؤادي الحشا ما نام
يا مخيمر قوم فسر لي المنام ... وعجل علينا ليته عمرك دام[كذا[٩٦]]

وهنا في هذه الحالة يكون الراوي واقعًا في قلب الأحداث أو أحد الفاعلين فيها، أو شاهدًا عليها، أو ساردًا لذكريات مضت، وهو بذلك حينما يروي لا يكسبها مصداقية فحسب بل ذاتية تعطي للمتلقي إمكانية الحدوث، وذلك من خلال وجود نموذج متجسد أمامه يشعر بما يشعر به المتلقي ويتألم ويفرح وهكذا.

فالراوي في أغلب نصوص الأحلام في السير الشعبية – موضوع الدراسة- يأتي راويًا ذاتيًّا مفردًا غير متعدد، يعرض القصة نفسها من خلال وجهات نظر متعددة؛ فالراوي في نصوص الأحلام – موضوع الدراسة- يخبرنا بكل شيء، وهذا الراوي موجود بكثرة في النصوص القديمة، فهو إن كان يُسمعنا أصوات الشخصيات الفاعلة، لكنه لا ينقل لنا سوى ما يبتغيه هو فقط؛ ليحول الأشياء الموجودة في الحياة الواقعية إلى أشياء ذات معنى أكثر من وجودها في الحياة وجودًا حقيقيًّا.[٩٧]

وبالنظر في طبيعة لغة راوي النصوص الحلمية، فإنه يأتي تارة بضمير المتكلم وتارة أخرى بضمير الغائب، فمثلًا عندما يكون السرد بضمير المتكلم، فإن العالم المروي يكون نسبيًّا ذاتيًّا منظورًا من جانب واحد فرديًّا، ذا طابع رومانسي يخدم الذات

[٩٦] تغريبة بني هلال، ص٧٦.
[٩٧] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي و النص القصصي، ص٧٩.

ويبرزها ويضخمها. أما الضمير الغائب، فهو يجعل النص موضوعيًّا، ويسوق العبارات في صيغة موضوعية، بالإضافة إلى أن ضمير المتكلم لا يتيح الفرصة للراوي كي يدور حول الشيء المذكور، بل يركز على زاوية واحدة بعكس ضمير الغائب.[٩٨]

فإن أراد القاص تأييد البطل من الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم ومساعدته في مهمته؛ فإنه يأتي في أحيان بضمير الغائب، وذلك مثلما ورد في سيرة "سيف": "وإذا بهاتف قد أتاه وهو يقول له: يا مصعب إلى كم هذا البغي والعناد وعدم الرشاد؟ أما آن لك أن ترجع وتتوب إلى رب العباد؟ فاترك إطاعة الشيطان، واتبع الملك الديان، وادخل في دين الخليل، واعبد الله الجليل وقل لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله، فإن فعلت ذلك، كنت من الناجين، وإن لم تفعل، كان لك العذاب المهين وتحشر مع الخاسرين وتشرب كأس الحميم، فقال الوزير مصعب: وأنت من تكون حتى تهديني إلى ما قلت من دون الناس؟ أعلمني حتى أدخل دينك وأتبع يقينك إن كان له أساس، فقال: أنا عبد الله الخضر أبو العباس، فقال الوزير: يا سيدي علمني ما أقول حتى أصير من أهل القبول، فقال له: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن إبراهيم خليل الله، وإنك بريء عن كل دين يخالف دين الاسلام، فقال الوزير مثل ما قال له الخضر وأسلم على يديه ...إلخ "[٩٩].

وفي أحيان أخرى يأتي بضمير المتكلم، مثلما ورد في سيرة "سيف": "وفي تلك الليلة أتاني رجل وقال لي: يا سيسبان ارجع إلى طريق الإيمان، واستغن عن هذا الحصان، وأعطه لملك الإيمان وهو الملك سيف بن ذي يزن، فجدد إسلامك على يديه، وأعطه هذا الحصان حتى يسلك على ظهره وادي الكافور، ويبقى لك الأجر والثواب من العزيز الغفور، فانتبهت من منامي، فلم أجد غيرك قدامي بحق دينك..."[١٠٠].

والأمر كذلك فيما ظهر في سيرة "الأميرة ذات الهمة": "لأنني كنت نائمًا وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي: كم يا هذا تقرأ وتصلي سرًّا؟ لا ترجع تصلي وتقرأ إلا جهرًا لأننا سقينا الرهبان بالكأس الذي سقيناك، وقد أروياهم كما أرويناك، فوجهت وجهي للقبلة وفتحت بابي، وما كنت أصلي إلا وهو مغلق إلا في هذا الوقت الذي وصلت إليَّ فيه وأنا في المحراب أتلو القرآن جهرًا وأصلي.."[١٠١].

وبالنظر في نصوص الأحلام – موضوع الدراسة- تبين أن أغلبية النصوص جاءت بصيغة الضمير المتكلم المباشر؛ إذ بلغ عددها ثمانية وسبعين حلمًا دار حول تعضيد البطل ومساعدته على الوصول إلى هدفه، وحلمًا واحدًا عن حالة شخص متوفى

---

[٩٨] انظر: نفسه، ص١٣٤-١٣٦.
[٩٩] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج١٨، ص١٧٩١.
[١٠٠] نفسه، مج٢، ج٩، ص٩٦٠.
[١٠١] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٥، ص٤٧١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أشبه بالمعراج[١٠٢] رأته أم جميل الرامي الذي استشهد في إحدى المعارك مع الروم، ومجموعة من النصوص الأخرى الخاصة بالأحلام التي جاءت للخديعة: إما خديعة المسلمين وبالأحرى البطل، وإما خداع العدو.

ومن اللافت للنظر أن الأحلام التي وردت للخديعة في السير قد جاء أكثرها بضمير المتكلم؛ إذ بلغ عددها ثلاثة عشر حلمًا من ضمن الثمانية والسبعين حلمًا الخاصة بضمير المتكلم، في حين أن النصوص التي جاءت للخديعة بضمير الغائب بلغت خمسة نصوص فقط.

أما النصوص التي جاءت بصيغة ضمير الغائب في السير الثلاث بصفة عامة، فقد بلغ عددها ثمانية وثلاثين حلمًا، تنوعت وظائفها السردية بين الخديعة والنبوءة والإخبار عن حالة المتوفى وشهادة شخص ما والبُشرى والتعويض. ومن المُلاحظ أن أغلبية النصوص جاءت بضمير المتكلم أكثر من ضمير الغائب، وهو ما يحتاج إلى تأمل.

لعل السبب في الميل إلى استخدام ضمير المتكلم بكثرة هو إضفاء المصداقية على النص؛ كي يُقنع الراوي المتلقي بما يقوله وكأنه شاهد على الأحداث، وما يقوله بنفسه له من خلال أسلوب السارد الظاهر المباشر، بالإضافة إلى إضفاء نوع من التقدير والمكانة على رائي النص الحلمي، وترك المساحة له ليعبر عما رآه، وليعضد هدف السيرة والوقوف مع البطل. وذلك في حين أن استخدام ضمير الغائب ليبعد الراوي عن نفسه مسئولية ما يُقال ويُروى.

ومن اللافت للنظر أن أغلب النصوص ذات التأثير القوي جاءت بضمير الغائب، مثل الإخبار عن ولادة عبد الوهاب وتأييد الأميرة ذات الهمة من الرسول صلى الله عليه وسلمﷺ؛ فالراوي من الخارج إن عبّر عن أعماق الشخصيات، فإنه يعبر عن الباطن من خلال ظواهر الدلالة عليه، في حين أن الراوي من الداخل الذي يعد السارد الأول للحلم قد يعتمد على تداعي الذكريات، فيصبح الإغراق في الذاتية هو السبيل للوصول إلى الحقيقة.[١٠٣]

وخلاصة القول عن ضميري المتكلم والغائب، فإن استخدام ضمير المتكلم بنسبة أكبر في النصوص – موضوع الدراسة- جاء ليعضد هدف تلك النصوص؛ إذ إن الأحلام تأتي لتأييد البطل ومساعدته، واستخدامها يعد ميثاقًا للثقة، واستخدام ضمير المتكلم يؤكد تلك المصداقية والثقة؛ فهو يروي ما يراه هو لا ما يراه غيره، فيحدث خلل أو إضافة وتشويش للصورة المرئية الأصلية.

---

[١٠٢] راجع: نفسه، مج٢، ج١٥، ص٤٤٧-٤٤٨.

[١٠٣] انظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي و النص القصصي، ص١٣٠-١٣١.

رابعًا- سمات السرد في نصوص الأحلام الواردة في السير الشعبية -موضوع الدراسة-:

السيرة - بوصفها جزءًا من الأدب الشعبي - تنتقل محتوية على تصورات الشعوب ورؤاهم التي تنطلق من اللاشعور الجمعي والتي تتوارثها الأجيال، بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية المتمثلة في السحر وقوة الكلمة والنص الحلمي، فالحلم تبعًا للمعتقد الشعبي وتصوره لا يعكس الحقيقة اليومية، وإنما هو حقيقة في حد ذاته، فمثلًا ما يراه النائم لا بد أن يتحقق في الواقع ولذا يؤخذ على محمل الجد، والحلم يتحقق لدى المعتقد الشعبي بحذافيره، والأبطال يسعون كذلك لتحقيق ذلك الحلم أو الرؤيا حسبما يرونه ويصنفونه ويؤمنون به.

وللحلم وظيفة في السرد؛ فهو يساعد على خلق الحركة الجديدة، إذ سرعان ما يتحرك الأبطال بهمة ونشاط بعد رؤية أحدهم رؤيا تكشف له عن شيء ما، مثل كشفها عن مكان اختفاء "عقبة" في الأميرة ذات الهمة، فلولا الحلم لما تحرك السرد والأبطال بحثًا عن مكان عقبة أو بالأحرى الشيء الذي تريد الرؤيا إخبارهم به،[١٠٤] بالإضافة إلى أن الحلم يُسخر لخدمة الخير، ودفع الحدث الدرامي دائمًا نحو انتصاره على الشر.[١٠٥]

وقد حاول علماء النفس أتباع فرويد إثبات أن اللاشعور موجود بصورة خفية في الأساطير والحكايات المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأحلام، ذلك أن الحكايات والأساطير هي تعبير عن اللاشعور الجمعي القديم للبشرية، ومن أشكال اللاشعور ما هو فردي متمثل في الأحلام التي تعد تعبيرًا بالصور في حالة النوم[١٠٦]، وذلك بالإضافة إلى أن الحلم يعد شكلًا من أشكال التعبير الفردية، التي وردت في بنية الحكايات الشعبية التي تحمل أشكال التعبير الجمعي، وكأن الحلم بنية صغرى.

وذلك التعبير لا يأتي بصورة مباشرة وواضحة، بل يتأسس ويقوم على عدة أنساق ثقافية وتأويلية متمثلة في عدة علامات تبرز مكنون الشعوب من خلال توالد بعضها من بعض؛ إذ تتأسس العلامات بناءً على نسق إحالات ذاتية يتولد بعضها من بعض.[١٠٧]

ونظرًا لأن المضمور الشعبي يميل إلى الرمز والعلامة، فإن الفكرة فيه لا تُقبل وتظهر بدقة، ولا تصبح مقنعة إلا إذا ظهر ما يمثلها؛ ومن ثم لجأ الشعبي إلى الاستعارة؛ إذ تقفز بالشيء والفكرة في مجال الرمز الذي يحتوي على المعنى، باختصار

---

[١٠٤] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة – دراسة مقارنة-، ص١١٩-١٢٠.

[١٠٥] انظر: فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص٧٩.

[١٠٦] انظر: غراء مهنا، بحث: الرمز في الحكايات الشعبية، ص٢٤.

[١٠٧] انظر: عبد الله بريمي، "التفكير الأيقوني نحو سيميائيات لتأويل العمل الفني – الإنتاج والتلقي،" مجلة سيميائيات ٥ (٢٠١٥م): ١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يلجأ إلى الرمز ليؤكد فكرته التي لا تتجلى إلا من خلال الرمز، وأغلب الظن أنهم يستخدمون الحلم بوصفه رمزًا ليؤكد فكرتهم، وهي وظيفة مهمة من وظائف النص الحلمي.

ذلك بالإضافة إلى أن الرمز وظيفته تكمن في حمل فكر الإنسان ومشاكل حياته وسعيه نحو الاكتمال، فالأشياء التي يتعامل معها الإنسان ويصادفها في حياته كأنها شيءٌ عاديٌ، يستخدمها الخيال الشعبي ويدخلها في إطار فكري وكوني، فالأشياء التي حركها الإنسان بخياله -كي تصبح رموزًا -هي في حد ذاتها ظواهر كونية وجزء من حقائق الحياة، وتظل ساكنة في مكانها إلى أن يحركها الخيال الشعبي، فالجَمَل على سبيل المثال رمز للصبر والجلد.[١٠٨]

وهذا بالفعل ما يحدث مع الأحلام، وكي يحقق النص الشعبي ما يبتغيه، فإنه يميل إلى نظام السرد المتصل؛ وذلك لأن الراوي والمتلقي يكونان في مستوى واحد من البث والاستقبال السريع، ومن ثم لابد أن تكون كلمات النص منسابة، أو أحداث تتوالى حتى يصل إلى النتيجة الواحدة في النهاية.

باختصار نظرًا لطبيعة القص، فإن النص الشعبي الأبلغ له أن يتبع السرد المتصل لا المتقطع حتى لا يتشتت المتلقي، وحتى يسير مع الراوي مرحلة مرحلة وصولًا إلى نهاية القصة في جو من التشويق والمتعة. ونظرًا لأن المتلقي يستمع للنص جملة واحدة، فيجب أن يصل إليه النص كاملًا بكل ما يحمله من شفرات ومتع جمالية، وإن شاب النص الغموض، انقطعت عملية التوصيل؛ لذلك فالنص الشعبي يميل إلى البساطة.[١٠٩]

ومن خلال تأمل نصوص الدراسة، يُلاحظ أن النص السردي للحلم جاء في سرد متصل غير متقطع، بدأ ببداية الحلم منذ لحظة النوم حتى الاستيقاظ، ومتن الحلم نفسه يسير بشكل متصل ومتتالٍ؛ لتصل الرسالة إلى المتلقي كاملة وجملة واحدة.

والنص السردي للحلم في مجمله يشبه حلقة في سلسلة سردية كبرى يبثها الراوي للمتلقي؛ إذ تجانست تلك الحلقة السردية مع ما قبلها وما بعدها؛ مما أدى إلى اتصال السرد وعدم انقطاعه كي لا يتشتت المتلقي.

فعلى سبيل المثال الحلم الذي ادعته "قمرية" أم الملك "سيف" لتخدعه جاء مكملًا للعملية السردية؛ فقد اغتاظت "قمرية" من تولي "سيف" المُلك بعد والده، وأرادت أن تستأثر بالحكم لنفسها؛ وتبعًا لذلك ادعت الحلم وأنها تابت وأرادت إعطاء أموال أبيه إليه. وبناءً على الحلم الذي ادعت رؤيته وذكرته كأنه أمر من والده كي تعطي لسيف الأملاك

---

[١٠٨] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص٣٨.

[١٠٩] انظر: نفسه، ص٨١-٨٢.

والمجوهرات؛ ذهب "سيف" معها إلى طريق بلغ أربعة أيام حتى يصلوا إلى مكان المجوهرات، وأثناء ذلك نام "سيف" تحت شجرة، ووضعت رأسه على حِجْرها كي تشعره بالأمان، وعندما غط في النوم أزاحت رأسه ووضعتها على حجر، ثم هوت عليه بسيفها، وعندما حاول النهوض طعنته عدة طعنات حتى أغشي عليه فتركته، ولكنه أُنْقِذَ بعد ذلك.[١١٠] فلولا وجود الحلم بوصفه حلقة سردية في سلسلة حلقات، لما اقتنع "سيف" بكلامها وذهب معها.

وثمة مثال آخر من سيرة "الأميرة ذات الهمة"، وذلك عندما كانت الأميرة في "طرسوس" واعتزمت المسير حتى تجد ابنها "عبدالوهاب"، وإذا بالجو قد انقلب، وأصبح ظلامًا، وبعد ذلك بدقائق ذهب الظلام، وجاء رجل من الدير يطلب مقابلتها، وحكى الحلم الذي تضمن رؤيته يوم القيامة، وندمه على عدم اتباعه طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﷺ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ أمره بمساعدة الأميرة، وإبلاغها رسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ إليها؛ لمساعدتها على الوصول إلى الأمير عبد الوهاب من خلال وجود أشخاص على مراكب سيساعدونها، وبناءً على ذلك الحلم والرسالة، عثرت الأميرة في المركب على رجال يساعدونها على العثور على ابنها عبد الوهاب.[١١١]

وفي تغريبة "بني هلال"، عندما أراد الأمير "حسن" التخلص من الأمير "دياب"، دعاه إلى حفل زفاف عنده، وقُبيل وصول الرسول إلى الأمير "دياب"، رأى دياب ما ورد في الأبيات الآتية:

رأيت منامًا يا أمير مسلم نكد علينا غاية التنكيد
ورأيت خلخالًا على الساق فضة بدور على الرجلين بالتوكيد
ورأيت جماعة من الرجال عدمتهم وما شفتهم بالعين يا صنديد
ورأيت أني وسط قاعة مربعة ومصفحة أبوابها بحديد[كذا[١١٢]]

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن الحلم يعد حلقة من سلسلة متواصلة الحلقات، ليُكمل طبيعة السرد الشعبي المتصل التي تقوم على المتخيل؛ إذ يسرد الراوي قصة في عالم متخيل، وبالرغم من إمكانية إشارته لأشخاص وأحداث حقيقية؛ فإنه لا يمكن التعامل مع تلك الأحداث على أنها حقيقة ودليل.١١٣ فشخصية الملك "سيف" على سبيل المثال حقيقية، لكن الأحداث نفسها متخيلة، و"الأميرة ذات الهمة" شخصية متخيلة هي

[١١٠] راجع: سيرة سيف بن ذي يزن، مج١، ج٢، ص٢٢٢.
[١١١] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، مج٣، ج٢٤، ص٢٩٠.
[١١٢] تغريبة بني هلال، ص٣٢٤.
[١١٣] انظر: يان مانفريد، علم السرد، ص٥٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وولدها.

وتلك الطبيعة المورفولوجية للسرد المعتمدة على التخييل تركز على وحدات الفعل التي "تحبك" وترتب تيار الأحداث في مسار من أفكار رئيسة ودوافع وخيوط[١١٤]، وكل ذلك تجلى في تلك الحلقة الصغيرة من السلسلة السردية في السير الشعبية؛ إذ اتكأت على وحدات فعلية محددة لتؤكد غايتها ودوافعها، معتمدة في ذلك على "النص الحلمي"؛ إذ استُخْدِمَتْ صيغ فعلية، مثل: (رأيت منامًا، رأيت البارحة، رأيت فيما يرى النائم)، وتلك الصيغ عملت على ترتيب الأحداث السردية؛ من أجل الوصول إلى الأفكار الرئيسة التي كان جلُّها يميل إلى مساندة البطل في مهمته، وتأييد راية الإسلام في السير الشعبية الثلاث.

ولتحقيق تلك الغاية اعتمد النص الحلمي كذلك على مستويات سردية معينة؛ إذ تنوع بين وجوده في سرد الدرجة الثانية وسرد الدرجة الثالثة؛[١١٥] ذلك أن الحلم يرد وسط سلسلة من الأحداث السردية داخل السير الشعبية، ولا يأتي بوصفه سردًا منفصلًا غير مضمر في سرد آخر.

فمن نصوص الأحلام التي جاءت في مستوى سرد الدرجة الثانية ما رآه الأبطال، على سبيل المثال ما رآه الملك "سيف" كي ينقذ خادمه من الجن "عيروض"، واستنجاده به وسط جماعة من جبابرة الجان، وهم يضربونه بالأعمدة الحديد[١١٦]، وعلى إثر ذلك الحلم ينهض الملك ليلبي نداء "عيروض"، فالحلم هنا من الدرجة الثانية؛ لأنه جاء مضمرًا في سرد الدرجة الأولى الخاصة بالملك "سيف"، فأثناء حكاية الملك "سيف" يظهر استنجاد "عيروض" به.

وذلك ما ورد في حلم "الأميرة ذات الهمة" عندما رأت الراهب الذي جاء ليطمئنها عن حاله بعد الموت وأن الله أكرمه وغفر له.[١١٧] وهنا جاء الحلم في سرد الدرجة الثانية؛ لأنه جاء مضمرًا وتحت سرد الدرجة الأولى الخاصة بسيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، وهذا النوع من السرد جاء لمساعدة البطل وتأكيد مكانته، وأكثر هذا النوع من السرد جاء تأييد من الرسول صلى الله عليه وسلم ﷺ للبطل، أو تأييد الخضر وعيسى عليهما السلام له، وكذلك الأمر في "تغريبة بني هلال".

---

[١١٤] انظر: يان مانفريد، علم السرد، ص٥٢.

[١١٥] سرد الدرجة الثانية: سرد مضمر في سرد الدرجة الأولى، أي الإطار العام للحكاية السردية، وسرد الدرجة الثالثة: سرد مضمر في سرد الدرجة الثانية، أي حكاية داخل حكاية داخل حكاية . للمزيد انظر: يان مانفريد، علم السرد، ص٦٤.

[١١٦] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٠٣.

[١١٧] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج٩، ص٨٢٠.

أما الأحلام التي جاءت في مستوى سرد الدرجة الثالثة، أي المضمر في سرد الدرجة الثانية، فهي ما وردت عن الأشخاص المساعدة للأبطال، أو المحركة لعملية السرد، مثل الحلم الذي رواه أهل مدينة المريخ للملك "سيف" بأن هاتفًا جاءهم يخبرهم ويبشرهم بمجيء الملك "سيف" لإنقاذهم. فسرد الدرجة الأولى تمثل في القصة الأساسية عن الملك "سيف"، وسرد الدرجة الثانية تمثل في أهل مدينة المريخ، وسرد الدرجة الثالثة ما رواه أهل مدينة المريخ وقصتهم بعد ذلك.[١١٨]

ومن سرد الدرجة الثالثة ما رواه الشيخ "مانع" وحكاه لملك الروم وعقبة الملعون في سيرة الأميرة ذات الهمة، وذلك الحلم جاء عندما قُبض على الأمير عبد الوهاب والأميرة والشيخ مانع؛ فحاول عقبة أن يُدخل مانعًا في النصرانية، فعرض مانع على عقبة أن يعطيه ما لديه من مال على أن يتركه على دين الإسلام، وحكى الحلم لعقبة ليؤكد أنه لن يتراجع عن الإسلام.[١١٩]

وكذلك الأمر في الحلم الذي ادعاه "صافي" لخداع الروم؛ إذ ادعى "صافي" وهو أحد المسلمين أنه شيخ مسيحي وراهب، وروى الحلم كي يقنع رهبان الدير بأنه شيخ نقي، وبالفعل وثقوا فيه، وادعى بأن معه طعامًا يشفي الآلام، فخدعهم وأكلوا منه، وبعد ذلك نام كل من في الدير، ومن ثم دخله الأمير عبد الوهاب ومن معه، وأخذوا ما فيه من أموال حتى يستطيعوا تحرير الأسرى وكسر شوكة الروم.[١٢٠] وهذا الحلم جاء في سرد الدرجة الثالثة؛ لأنه جاء ضمن حكاية الشيخ "صافي" في سيرة الأميرة ذات الهمة.

وكان مجيء مستويين مختلفين للسرد في الأحلام – موضوع الدراسة- لدعم البطل وهدف السيرة وغايتها، ولم تقتصر تلك المستويات على أحلام الأبطال فحسب، بل كذلك على الأشخاص الآخرين، وكأن الجميع يؤكد الهدف والغاية نفسها.

وكي تبرز أهمية الأحلام، فقد جاءت من خلال الخطاب الحكائي السردي. وذكرنا كلمة "خِطاب"؛ لأنها رسالة بين راوٍ ومتلقٍ لتلك السير الشعبية ونص الحلم بصفة خاصة، وكلمة "حَكْي"؛ لأنه يحكي عن طريق اللغة أحداثًا معينة، وعندما يوظف راويًا يتكلف عبر السرد إرسال الحكي يكون ذلك سردًا؛[١٢١] لذلك جاءت الأحلام من خلال صيغة الخطاب الحكائي السردي، ليس الخطاب فقط أو الحكائي فقط، وقد ميز "سعيد يقطين" الخطاب الحكائي السردي من خلال ثلاثة معايير، هي: (الصيغة، السرد، قصدية الكاتب)، ورأى أن ذلك ينطبق على عدة أنماط سردية، منها السير الشعبية.[١٢٢]

---

[١١٨] راجع: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٩، ص٩٣٣-٩٣٥.
[١١٩] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٦، ج٥١، ص٢٦.
[١٢٠] راجع: نفسه، مج١، ج٩، ص٨١٧.
[١٢١] انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص٤٦-٤٧.
[١٢٢] انظر: نفسه، ص٤٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وللخطاب الحكائي السردي عدة صيغ، هي:
صيغة الخطاب المسرود، وصيغة الخطاب المسرود الذاتي، و صيغة الخطاب المعروض، وصيغة المعروض غير المباشر، والمعروض الذاتي[١٢٣]، وهناك المنقول الذي ينقل كلام غيره سردًا أو غرضًا.

وفي ضوء تعدد تلك الصيغ، فإنني رأيت أنه يمكن من خلال تلك الصيغ اشتقاق صيغة جديدة للأحلام؛ فهي مسرود ذاتي للآخر، سواء أكان ذلك الآخر مباشرًا أم كان غير مباشر، وذللك التقسيم مختلف؛ لأنه ليس شرطًا أن يتحدث المتكلم عن ذاته وإليها، وليس شرطًا أن يعرضها وقت الكلام؛ لأنه قد يعرض للمتلقي أشياء ماضي؛ ومن ثم فإن تقسيم "سعيد يقطين" ناقص؛ إذ ليس شرطًا لكي يسرد أن يذكر كلام غيره، ذلك أنه قصر الخطاب على (خطاب- مسرود- منقول- معروض).

فعند النظر إلى الأحلام نجد أنها قد تُروى على لسان الراوي الذي ليس له علاقة مباشرة بالأحداث بل هو ناقل فقط، في الوقت نفسه لا ينقل الكلام كما هو؛ إذ يعتمد على حالة المتلقي أثناء سماعه لتلك السير؛ وقد يضيف أو يُنقص من النصوص السردية التي يرويها. وعندما يظهر الحلم بضمير المتكلم؛ فإن الراوي لا يتكلم عن ذاته وإليها بل إلى المتلقي، كما لا يوجد في الأحلام خِطاب معروض، كأن يتكلم المتكلم مباشرة إلى المتلقي ويتبادلان الكلام دون تدخل من الراوي. لذلك ذهبت إلى أن للأحلام صيغ أخرى في الخطاب الحكائي السردي، فهي ليست نقلًا دون إضافة، وليست راويًا متكلمًا إلى ذاته وعن ذاته.

وبتأمل نصوص الأحلام الواردة في السير – موضوع الدراسة-، يُلاحظ أنها تأثرت في بعض المواضع بالإطار الشعبي الذي وُجدت داخله، وفي أحيانٍ أخرى اختلفت عنه؛ إذ تأثرت به في ضوء ميل القص الشعبي إلى تصوير لوحات ذات طابع تشكيلي ونحتي، مثل تصوير البطل يطير بحصانه السحري، أو يصارع الوحوش، فكل ذلك لتجسيد الفكرة.[١٢٤]

وقد تأثرت الأحلام بذلك؛ إذ هي لوحات تجسد فكرة معينة، فعندما يرى البطل الرسول ﷺ، فإنه يجسد فكرة تأييد البطل من الله ورسوله، أو عند ظهور لوحات يوم القيامة، أو ظهور بعض الشخصيات التي تشحذ همة الرائي، مثل حلم أم مذبحون الذي ورد في سيرة الأميرة ذات الهمة؛ إذ بدأ بـالآتي: "رأيت في نومي شخصًا أسمر اللون مليح الكون، كأنه القمر في ليلة أربعة عشر[١٢٥]، ومعه رجال عليهم الهيبة والجمال،

---

[١٢٣] انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص١٩٧-١٩٩.
[١٢٤] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص١٤٤-١٤٥.
[١٢٥] الصواب: أربع عشرة

فقال: يا هذه من تريدين؟ فقلت: أن يجمع المسيح بينى وبين ولدي مذبحون، فقال: يا هذه قد رجع الحق إلى أهله...إلخ [كذا]".[١٢٦]

وهكذا تعددت اللوحات المجسدة لفكرة السيرة وغايتها وشحذ همم المتلقين؛ وذلك لمجابهة ما يعانونه في الواقع. ومن سمات تأثر الأحلام أن سيرة الأميرة ذات الهمة اتبعت أسلوب البسط والقبض، فهي تبسط في عرض الصور السردية مثلما ظهر في الحلم المذكور آنفًا، والطريقة نفسها ظهرت في سيرة "سيف".

ومن بين الوسائل التي استعانت بها السير في ذلك البسط الأحلامُ؛ وذلك لتحقيق تلك الغاية، ومنها ما حدث في الهلالية، إذ تتميز باستمرار الشعر والنثر على التعاقب دون خلل يُذكر، بالإضافة إلى الشعور الذاتي حتى وإن صدرت عن قوم أو قبيلة.[١٢٧]

وتبدأ السيرة الهلالية بقول "قال الراوي" حتى يثبت أن الشعر الذي سيقال هو أصل، وأن النثر حينئذٍ جاء مجرد تذييل مستقل عنه، ومن ثم فإن الهلالية قامت وبُنِيَت على الشعر، وأفادت من النثر إفادة عارضة، والنثر يقوم فيها بوظيفة خلق حلقة وصل بين القصائد الشعرية الطويلة والقصيرة في سياق واحد؛ وذلك لأن السيرة نشأت من أبيات ومقطعات متفرقة أخذت تتداخل، فجاء النثر ليحكمها ولتتكون حلقة سردية.[١٢٨]

وورد ذلك على سبيل المثال في نص الحلم الذي رآه الملك "فرمند" ملك مصر؛ لإثارة الأحداث وتأكيد قيمة البطل وعظمته؛ إذ بدأ ذكره بقول: "وأما ما كان من فرمند ملك مصر، فإنه في تلك الليلة حلم منامًا هائل المنظر، فقام مرعوبًا، فأحضر الرمال وأشار يخبره عن ذلك، يقول:

يقول الفتى الفرمند بن متوج ... بدمع جرى فوق الخدود سجام
رأيت منامًا آخر الليل راعني ... وأقلقني والعالمين نيام
رأيت نارًا ضرمت في بلادنا ... قد أحرقت أشجارها واكرام
رأيت سباعًا ماليًا السهل والفضا ... ومعهم لبوات بحسن قوام
يهبو لي بالعين قدام ناظري ... كغزلان زنجي في مراح خزام
فهممت إلى اللبوات أصيدهم ... إلا وسبع أسمر على حام
ورفع إلى عنقه لهم فأثنى ... فوليت منه هاربًا وهزام
فوليت نحو القصر هاربًا مرتعـ ... ـبًا إلا وطير أبيض على حام
ضربنى بمنقاره وحط مخالبه ... في وسط قلبي والدما قد عام
ففريت من هذا المنام خايفًا ... تحيرت يا ناس في هذه الأحلام[كذا[١٢٩]]

[١٢٦] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٥، ج٤٣، ص١٩١.
[١٢٧] انظر: عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ، ص١٣٧ و ص١٥٦.
[١٢٨] انظر: نفسه، ص١٤١-١٤٢.
[١٢٩] تغريبة بني هلال، ص١٨٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فالنثر هاهنا يقوم بحلقة الوصل وتوضيح أحداث النص الحلمي، مثلما يحدث في أحداث السيرة بصفة عامة؛ مما يدفع حركة السرد، بالإضافة إلى أن الهلالية تعد فلسفة للفروسية التي تقوم على فضائل متعددة، تتلخص في كلمة (المروءة) التي تعد سمة مميزة لأفراد الشعب العربي كله، سواء أكان أفراده أبطالًا أم كانوا غير ذلك، فهي من أسمى الفضائل التي يحافظ عليها العربي، وإن كانت الحروب تحدث، فإنها تحدث من أجل تحقيق الوجود العربي وكرامة الحياة والخير وتأكيد العروبة، وكل العوامل تأتي مساعدة لتحقيق تلك الأهداف[١٣٠]، والحلم يعد عاملًا مهمًّا من ضمن تلك العوامل التي استعانت بها السير لتأكيد فكرتها من خلال تأكيد دور الفارس والفروسية التي يمتاز بها الأبطال.

بالإضافة إلى ذلك، فالقص الشعبي لا يعرف تداخل الأحداث وخيوط السرد، بل يعرف الخط الواحد الممتد، وإن كان هناك بدٌّ من العودة إلى الماضي، فإنه يأتي عن طريق الحوار.[١٣١] و رأيت أنه يمكن العودة إلى الماضي عن طريق النص الحلمي؛ لذا استُعِينَ به.

وكما تأثرت الأحلام بالإطار العام الموجودة فيه؛ فقد خالفته في بعض الأحيان؛ ذلك لأن (أولريك) لخص قوانين القص الشعبي، وكان من ضمنها قانون البداية والنهاية؛ إذ يبدأ القص الشعبي من السكون ثم الإثارة وينتهي بالسكون.[١٣٢] و رأيت أن ذلك لا ينطبق على نصوص الأحلام؛ إذ تبدأ من السكون ثم الإثارة ولا تنتهي بالسكون؛ إذ بعدما يفيق الرائي تحدث حركة جديدة من الإثارة والحركة، فالحلم نص يدفع السرد إلى الأمام، وإن كان يعد تذكرًا واستدعاءً للماضي، فهو لا يقف عند السكون؛ إذ يبدأ بسكون، أي لحظة هدوء الرائي ونومه إلى الإثارة الدافعة لعملية السرد.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن السير الشعبية إطار عام يصور النشاط الإنساني مكثفًا في خطاطة ثابتة؛ إذ يجمع داخله كل العوامل المحددة للفعل الإنساني، وهدف الفعل، وما يدفع إلى الفعل، والمفيد من الفعل، والرغبة في الفعل، والمساعد على الفعل، والمعيق عن هذا الفعل.[١٣٣] ومن ضمن تلك الفواعل ما جاء في الأحلام، أي الوظائف، مثلما تحدث عنها "بروب"، فلكل شخصية وظيفة محددة تقوم بها، ويمكن تطبيق ذلك على النص الحلمي، فله وظيفة أو وظائف محددة يقوم بها. وكل شكل أدبي شعبي يؤدي وظيفة تختلف عن الوظيفة التي يؤديها الشكل الآخر، ولا يعني هذا أن

---

[١٣٠] انظر: عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور، ص١٩٢-١٩٣.
[١٣١] انظر: عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ، ص١٤٢-١٤٣.
[١٣٢] نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص١٤٣-١٤٤.
[١٣٣] انظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص٧١.

الراوي شكل من الأشكال، ومثله الجماعة المُسْتَقْبِلة، فهم على وعي كامل بالوظيفة المحددة التي يؤديها الشكل، وأن لكل شكل مناسبة محددة لروايته.[١٣٤]

ومن أهم أسباب السير ووظائفها الاحتفاظ بجميع المزايا التي يترجاها الشعب والتي ينبغي أن توجد فيه، فتأتي السير الشعبية جامعة كل تلك الصفات في البطل؛ فمثلًا أبو زيد الهلالي يمثل العلم والشجاعة والأخلاق العربية، ودياب بن غانم يجسد الحماسة العربية، والسلطان حسن بن سرحان يجسد الاعتدال الكامل في السلوك والعطاء وحسن الهندام.[١٣٥]

وتتجلى تلك الوظائف السردية للحلم في الواقع؛ فلقد رأى "رانك" أن الشيء المهم في الأنواع الشعبية لا يقتصر على الشكل، كون ذلك الأدب اتخذ شكل الأسطورة أو الملحمة أو النكتة..إلخ، وإنما يتمثل في الدافع الذي يقبع خلف ذلك الشكل؛ فالدافع هو الأساس، وبعد ذلك يأتي الشكل، فعلى سبيل المثال قد يلجأ إلى عرض قسوة الحياة بأسلوب ساخر من خلال اتخاذ شكل النكتة، أو يعبر عن ارتباطه بالحياة العليا والآلهة فيتخذ شكل الأسطورة..إلخ، فالهدف والدافع يأتي أولًا، وهذه الدوافع هي التي تحدد الأنواع الشعبية، وانشغاله الروحي بما يدور حوله محاولًا تفسيره؛ ومن ثم تتخذ تلك الأشكال أسلوبًا خاصًّا بها، فالحكاية الخرافية تتبع منهجًا وأسلوبًا انعزاليًّا عن الواقع؛ إذ ينعزل البطل عن الزمان والمكان والأهل، أما الحكاية الشعبية مثلًا، فلا تتبع هذا المنهج، بل ترتبط بالواقع وبحدود الزمان والمكان.[١٣٦]

إذن قد يُتعامل مع على الحلم بوصفه شكلًا جاء يعبر عن دافع معين، يختلف ذلك الدافع تبعًا لوظيفة النص الحلمي، فقد يكون لإثبات شيء أو تنبؤ أو ما شابه، وكي يحقق ذلك، فهو يخلق الصور التي يصعب حدوثها في الواقع، أو تأكيد إدراك معنى المتخيل في القصص والأعمال الأدبية؛ إذ تقوم بإعادة تركيب المشاهد والصور في دنيا الحلم دون الواقع والحقيقة.[١٣٧]

ومن ثم يمكن وصف الحلم بأنه نص عجيب؛ لأنه تعبير عن وضع اجتماعي وحالة معيشية، وهو نابع من خيال رغبي، قوامه التعويض عن حرمان، ولا شك أن فيه شفاءً من قهر وإعتاق من كبت، فهو مريح للنفس، كما يعيد إليها توازنها، وهي تتلقاه على أنه حقيقة ودوافع داخل حكاية، وأنه وهم وخيال خارجها؛ ولذلك تسبح النفس وراءه

---

[١٣٤] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص١٠٧-١٠٨.

[١٣٥] انظر: عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور، ص١٨٩.

[١٣٦] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة - دراسة مقارنة-، ص١٥-١٧.

[١٣٧] انظر: فاروق خورشيد، "الأحلام في الموروث الشعبي،" مجلة الفنون الشعبية ٢٧-٢٨ (١٩٨٩م): ٤٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كأنها في حلم.[١٣٨]

ومن مظاهر النص العجيب أنه قد يأتي على هيئة سحر أو قوى خفية وكنز مرصود لصاحبه لا يناله إلا هو، وهذا موجود في سيرة "سيف بن ذي يزن"، وقد يأتي العجيب على صورة مارد يخدم الإنسان ويساعده، كما ظهر على هيئة عيروض في سيرة "سيف" .[١٣٩]

ويعود وجود تلك القوى الخفية في الحكايات الشعبية إلى التغلب عليها؛ إذ تشكل خوفًا وتهديدًا على المستوى الشعوري لدى الإنسان؛ ومن ثم كان عليه أن يجسدها أمامه حتى يستطيع محاربتها والتغلب عليها، فظهرت صورة المردة والغيلان والجان والعمالقة، ووجود السحرة في الحكايات يجسد ويمثل الهروب من الواقع، أما المخلوقات الخرافية الذين سبق ذكرهم، فهم يوجهون الأحداث نحو المأساوية.[١٤٠]

ويرى "فاروق خورشيد" أن "قصص الأحلام" أقرب أنواع القصص إلى المضمون الدرامي؛ ذلك أنها تحتوي على عدة صراعات؛ صراع الإنسان مع القدر ومحاولة التملص والفكاك من قيوده التي تحد من وجوده الإنساني، بالإضافة إلى كونها تمردًا على عجز الإنسان أمام القدر الذي لا يملك له أي قوة أو سلطة أو وسائل يرده بها إلا من خلال أعماقه الإنسانية، فهي الأكثر إظهارًا لقوى القدر. ويذكر "خورشيد" كذلك أن الحلم في نبوءته يقف ويحل محل الساحرات والجوقة في الدراما الإغريقية القديمة، بالإضافة إلى أن الحلم يعادل النبوءة التي كان الكهان والسحرة يعبرون عنها، وأحيانًا يكون بمنزلة قوة قهرية وانعكاس للحالة النفسية.[١٤١]

وخلاصة ذلك أن النصوص السردية القديمة لجأت إلى وظيفة العجب والانشغال؛ ذلك أن العجب يجلب سماع المروي له ويشركه في النص؛ ومن ثم تتحقق وظيفة الانشغال؛ إذ ينشغل المروي له عن واقعه بالمحكي، وذلك يحدث لغاية مقصودة، وهو ما توافر في الأحلام.[١٤٢] وذلك بالإضافة إلى خروج ما يعتري النفس من دوافع الخوف والرغبات في هيئة رموز، فإذا بالمشكلات التي تؤرق الإنسان تتحول من تلقاء نفسها إلى موضوع حكاية، وكأنها وسيلة لحماية الإنسان.[١٤٣]

ويمكن النظر إلى الأحلام بوصفها مشاهد رؤيت ونُقِلَت إلينا من خلال صوت

---

[١٣٨] انظر: أحمد زياد محبك، بحث: العجائبية في الحكاية الشعبية، ص٥٨.

[١٣٩] انظر: نفسه، ص٥٥-٥٦.

[١٤٠] انظر: غراء مهنا، الرمز في الحكايات الشعبية، ص٣١.

[١٤١] انظر: فاروق خورشيد، الأحلام في الموروث الشعبي، ص٦٣-٦٤ و ٤٧-٤٨.

[١٤٢] انظر: سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، ص٤٠.

[١٤٣] انظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ط، د.ت)، ١١.

ما، وكأننا نسمعه ونشاهده يُروى لنا، فمن خلال النص يُبرز لنا صوت السارد وكأنه قريب منا، ومن ثم يستطيع المتلقي أن يتأثر بالنص كأنه يسمع النص بأذني عقله ويرى بعينيه، وكأنه رائي النص الحلمي. ولعل كل ذلك يعد من وظائف الحلم ليكسبه المصداقية، ولعل ذلك الأمر ليس في الحلم وحده؛ بل في كل النصوص السردية؛ إذ يُبرز صوت السارد من خلال النص، فيصبح خطابًا سرديًّا للمتلقي أيًّا كان هو، أو بالأحرى المفسر لتوجيه رسالة معينة تهدف هدفًا معينًا يقصده سارد النص الحلمي.

وترى "نبيلة إبراهيم" أن للأدب الشعبي عدة خصائص، منها: حرصه على الحركة والتجدد حول البطل؛ حتى ينشط خيال السامع ويتركز انتباهه؛ ومن ثم يلجأ القاص في بعض الأحيان إلى النص الحلمي، فيحلم البطل حلمًا، أو أحد أفراد القصة، فيفسره له آخرون، ثم يتتابع السرد محققًا ذلك النص الحلمي. فالقاص مغرم بالإكثار من عنصر الأحلام في قصته؛ لأن الأحلام تقدم وتعرض أحداثًا غير مألوفة في الحياة الواقعية، ولخلقها إحساسٍ بالمصير الذي سيلقاه البطل.[١٤٤]

فالحلم ينبئ بالأحداث، بالإضافة إلى إتاحته الفرصة لتعليل كثير من السلوكيات الغامضة داخل النص السردي وتفسيرها، مثلما استُخْدِمَ في ميلاد البطل الذي يعد فاتحة درامية.

وبالرغم من كشف الحلم المستقبل، فإنه لا يستطيع القضاء على الكوارث التي ينبئ بها، فيحقق النبوءة التي جاء بها بالرغم من معرفته السابقة، فلا يستطيع الإنسان إزاءها التصدي والوقوف، وكأن المنام مثل السهم الذي يصيب ولا يُستطاع إيقافه.[١٤٥]

من ذلك على سبيل المثال ما ورد في سيرة الأميرة ذات الهمة، ونصه: " رأى منامًا وهو كأنه قائم ببغداد، وأولاده الذين ذبحهم البطال قيام بين يديه وهم يقولون: يا أبانا ما لك قد نمت عن أخذ تارنا وقد نسيتنا وغفلت عنا ولم تذكرنا؟ وإنه قال لهم: وحق ماري حنا ما أغفل عنكم يا أولادي ها أنا أرمي الفتن بين الموحدين إلى أن أهلكهم بتدبيري، فإن عشت، أفنيت الإسلام ثم أملأ الأرض من دين المسيح عليه السلام، ولا أقر ولا أهدأ حتى أنني أشرب بعدكم كأس الردى ... امضِ إلى عساكر الملك أرمانوس، فإنك تجد خصمك الذي ذَبَح أولادك الشهدا المسمى بالبطالَ في جملة القسوس، وهو يريد أن يعمل على إبطال دين الناقوس، فَسِرْ إليه واقبض عليه، فقد دنا خروج روحه التي بين جنبيه..[كذا]"[١٤٦].

وهنا تسبب الحلم في وقوع الرائي "عُقبة الملعون" أسيرًا؛ إذ فرح بالحلم وهمَّ إلى مكان معكسر المسلمين في ملطية، وأثناء طريقه هجم عليه "اللملمان" وحاول قتله،

---

[١٤٤] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص٢٤.
[١٤٥] انظر: فاروق خورشيد، الأحلام في الموروث الشعبي، ص٤٧.
[١٤٦] راجع: سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٦، ج٦٠، ص٧٢٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فأخذ عقبة يدعو على أولاده وأيقن أن الحلم كان من الشيطان حتى يقع في يد المسلمين، فلو اهتم الرائي بالحلم لنجا بنفسه من الوقوع أسيرًا؛ وكأن الحلم هنا انقلاب السحر على الساحر؛ إذ كان عُقبة يلجأ إلى الحلم ليخدع المسلمين ويوقعهم في شره ومكائده، فانقلبت تلك الخدعة عليه وظهر له حلم من الشيطان؛ ليقع هو في يد المسلمين ويتخلصوا منه صلبًا تحقيقًا للحلم الذي رآه "عبد الوهاب" من قَبْل بصلب عقبة.

وثَمَّ مثال آخر ورد في "تغريبة بني هلال" من خلال حلم رأته ابنة "وطفا" ابنة الأمير دياب، ونصه: "فقد رأيت حلمًا في المنام، أصبحت منه في أوهام، ثم سردت له بهذا النظام:

إن الدهر كواني	حتى زادت نيران
من أجل حلم شفته	منه قلبي فزعان
قد شفت بحر من دم	وأنت بوسطه غرقان
شفتك في وسطه تسبح	وكلت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تخرج	أنا شفتك بعيان
أنت تنادي يا أبا زيد	هيا يا أبا شهبان
في سرعة قد أتاك	ومد إليك الزمان
وقال لك يا أبا موسى	أمسكني بالدرعان
الحال قدرا في عاجل	وقد جابك الصيوان[١٤٧كذا]

فقد ظهر هذا الحلم أثناء إحدى معارك الأمير دياب مع الدبيسي، فرأته "وطفا"، وحاولت منع والدها من الاستمرار في المعركة، وقال بأنها أضغاث أحلام، ولم يعرْ للحلم أدنى اهتمام، فنتج عن ذلك إصابته على يد "الدبيسي"، وبالفعل ظهر "أبو زيد" حسب الحلم لإنقاذ دياب، واشتدت المعركة بين الطرفين؛ مما تسبب في أسر عشرين فارسًا من بني هلال، فكان الحلم بمنزلة تنبيه، ولكن البطل لم يهتم به، وهذا أمر جدير بالتأمل والاهتمام.

خامسًا- النص الحلمي بوصفه موتيفًا سرديًّا:

بعد الوقوف على نصوص الأحلام في السير، وجب التوقف لمعرفة إلى أي جنس أدبي أو شكل أدبي يمكن تصنيف تلك الوحدات السردية الواردة في ثنايا السير الشعبية؛ إذ إن لها نمطًا يميزها عن غيرها من الوحدات، بالإضافة إلى كونها تعد همزة الوصل بين وحدات السرد داخل النص الأدبي، ونظرًا لأنها وحدة صغرى، أيمكن النظر إليها بوصفها موتيفًا؟

إن الموتيف لا ينبثق داخل العمل الأدبي من اللاشيء والفراغ؛ إذ ينبع من شيء

[١٤٧] تغريبة بني هلال، ص٤١.

سابق له أشبه بالمقدمة ليظهر في توتر حركي مستمر، وعقدة تحتاج إلى حل، فالموتيف من الحركة وتحريك السرد من زيادة حركيته.[١٤٨] وبتأمل هذا الكلام، فإنه يتفق والنص الحلمي في بعض المواضع، ويختلف في مواضع أكثر؛ ذلك أن الحلم لا ينبثق من اللاشيء والفراغ، كما يشترط وجود نص قبلي يمهد له، ونص بعدي يوضح ما آل إليه النص الحلمي؛ حتى تكتمل عملية السرد وحركته، لكنه يختلف عن الموتيف في فكرة التوتر الحركي المستمر الذي يحتاج إلى حل له، فالحلم يحرك السرد، لكنه لا يجعل الأحداث في توتر حركي في بعض الأحلام، بل على العكس يظهر الحلم في بعض الأحيان بمنزلة حل للأزمة، وذلك مثلما ورد - على سبيل المثال - في سيرة "سيف": "أتاني هاتف في منامى يقول لا تحزني يا ناهد، فقد سبب الله لكم الخلاص في هذا العام على يد الملك بن ذي يزن بقتل المختطف الملعون، ويريح الله عنكم تلك الغبون، وهو الذي قطع يده في بلاد الحبشة والسودان، فإذا أفقت من منامك ولذيذ أحلامك، تجدينه واقفًا تحت الشباك، فأطلعوه عندكم؛ فهو الذي يقتل عدوكم ويردكم جميعًا إلى مستقركم (يا سادة يا كرام)، ثم قالت ناهد: فأفقت من منامي وحكيت للبنات على ما رأيت من العبر..."[١٤٩]

وتدور الأحداث هنا حول مارد كافر يُدعى المختطف يختطف البنات ويتزوجهن عنوة، وحاربه "سيف بن ذي يزن"، وذات مرة قطع سيف يد المارد كي ينقذ شامة ابنة الملك، فهرب المختطف إلى القفار، فأعجب بعاقصة ابنة الملك الأبيض وأراد الزواج بها، فرفضت واستنجدت بوالدها فلم ينقذها منه، فذهبت لأمها وأخبرتها، فأوصتها أن تذهب إلى سيف كي ينقذها؛ فهو أخو عاقصة في الرضاعة، وبالفعل ذهبت إليه ودلته على مكان قصر المختطف كي يقتله ويريح الناس من شره، وهناك وجد القصر العالي المتعلق بالسحاب، وطوله خمسمائة ذراع وارتفاعه مائتان وخمسون ذراعًا، وهو على أربعة عمدان، وأثناء تفكر الملك سيف في طريقة صعوده القصر لقتل المارد، رأى شباكًا تدلت فصعد..إلخ.

وقبل ذلك رأت الملكة ناهد ابنة الملك الصيني هذا المنام؛ مما أدى إلى مساعدة سيف في مهمته وتحريرهم وقتل المختطف، وعرضت ناهد عليه الزواج ووقعا في الحب، وكل ذلك حدث نتيجة للحلم وحركة السرد، فلولا ذلك الحلم لما ساعدت الملكة الملك سيفًا ولما قُتل المارد.

وعلى سبيل المثال كذلك ما ورد في سيرة الأميرة ذات الهمة في حلم أبي محمد البطال، ونصه: "قد رأيت رؤيا، وهو أن ارفع هذين الكلبين إلى قلعة الملك شعشونا،

---

[١٤٨] انظر: سليمان العطار، "الموتيف في الأدب الشعبي والأدب الفردي،" مجلة الفنون الشعبية٨٦ (٢٠١٠م): ص٣٧.

[١٤٩] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج١، ج٢، ١٤١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ويكونوا هناك، فنأمن من مكرهم وحيلهم"[١٥٠].

وورد هذا الحلم عندما نجح المسلمون في دخول القلعة وأسر عقبة وماريتون النصراني، فاقترح أبو محمد تعليقهما، واستخدم الحلم ليدعم اقتراحه، ونُفذ اقتراحه، إذ وُضعا في صندوقين كي يعلقا.

وذلك بالإضافة إلى الحلم الذي رآه الأمير ظالم بن عبد الوهاب، ونصه: "بينما أنا في المنام إذ رأيت شخصًا يقول لي: يا ظالم أبشر فقد آن الاجتماع بالأحباب، وذلك مسطر في الكتاب، فاشكر على ذلك رب الأرباب ومعتق الرقاب، وقم من ساعتك هذه وادخل على أمير المؤمنين، فبعزمه تنال المطلوب، ثم استيقظت من منامي وأنا مرعوب.."[١٥١].

وقد ظهر هذا الحلم عندما خرج الواثق بالله وأبو محمد للبحث عن جثة الأمير والأميرة ذات الهمة دون علم ظالم بن عبد الوهاب، حتى لا يتجدد الحزن، فلما رأى ظالم النص الحلمي، ذهب إلى الواثق؛ فذهب معهم للبحث.

والموتيف هو موقف نمطي مكثف في بنيته السطحية، يترجم في العمل إلى عدد كبير من العناصر السردية التي تترابط رأسيًّا وأفقيًّا لتشكل بنية عميقة، وهي تتحرك خطيًّا، وهذا الموقف النمطي له ملامح خارجية وداخلية محدودة، تتميز بقدر كبير من الثبات، ولفهمها جيدًا يمكن عدّ الموتيف دالًّا وبنيته التحتية مدلولًا، ويمكن استخراج الموتيف بانتزاعه من موضعه في سياق عدد غير محدود من الأعمال الشعبية، ويصنف في مجموعات يسمى كل منها الإطار الموتيفي الذي يشبه الحقل السيمانطيقي، وهذا الكلام جيد لكن فكرة فصله فيما يتعلق بالأحلام تحتاج إلى التوقف؛ إذ يمكن فصل الأحلام الموجودة في السير الشعبية وتأويلها على أنحاء عدة مثلما يحدث في الموتيف.

أضف إلى ما سبق أن الموتيفات المتعددة تدخل في تباديل وتوافيق تبادلات وتوافقات، مشكلةً حكايات لا نهاية لها، في مساعدة فعالة لارتجال الرواة تلك الحكايات، مع قدر كبير من الحرية في خلق الترابطات بين الموتيفات، التي تشبه القطع الخشبية التي تكوّن بتركيبها بيتًا يمكن التحكم في تركيبه كل مرة، وفي خصائصه وعدد غرفه واتساعها. ولتعرف أي موتيف نبدأ بتجريده في موقف نمطي متكرر قابل عند سرده للاتساع وحمل تفاصيل وخصائص متعددة.[١٥٢]

وهذا ما يجعلني أستبعد كون الأحلام موتيفًا؛ لأنه لو حُكي حلم معين، فسيصعب توافر عدة تأويلات له؛ لأنه يفضي إلى المعنى نفسه في كل مرة، بعكس الموتيف الذي يحمل عدة تأويلات.

---

[١٥٠] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٨، ص٦٤١.

[١٥١] نفسه، مج٧، ج٧٠، ص٩٨١.

[١٥٢] انظر: سليمان العطار، الموتيف في الأدب الشعبي ، ص٣٦.

ونظرًا لأن النصوص تقوم على:
تنظيم سطحي: هو البنيات الكبرى التي تحتوي على أبنية صغرى ذات قدرة على توليد سلسلة كبيرة من العلاقات والدلائل، فهي تمتلك القدرة على جعل المعنى قادرًا على التدليل، وفيها يُنتج وحدة صغرى تتحكم في سير العمل والمعنى وتنظيمه.
وتنظيم عميق؛ هو البنيات الصغرى التي من خلالها يُعرف المضمون.[١٥٣]

ومن هنا فإنه يمكن عدّ الأحلام بِنيات صغرى تتحكم في العمل، والسير في مجملها العام تتكون من بنى صغرى تتحكم في تنظيم السيرة كلها، وتعد "معنمًا" أي بنية صغرى تقدم مع غيرها الرؤية العامة للنصوص.

كما أن البنيات السردية تتكون من عوامل وفواعل، والعلاقة بينهما علاقة مزدوجة، بمعنى أنه قد يوجد داخل الخطاب والنص السردي عامل واحد وعدة فواعل، أو عدة فواعل وعامل واحد، ويُقصد بالفواعل ما تقوم به الشخصيات؛ إذ يمكن القول بأنها ترادف فكرة الوظائف لدى "بروب"، فلكل شخصية وظيفة فاعلة وعدة عوامل، أو عامل واحد يساعدها على إقامة الفعل.[١٥٤]

من ثم رأيت أن الحلم يعد عاملًا داخل النص السردي؛ لأنه يحرك الشخصية؛ وبناءً عليه تحدث عدة وظائف وفواعل، كأن ينهض البطل ليؤدي مهمة معينة، أو يسلك سلوكًا معينًا.

فضلًا عن ذلك، فإن البنية العاملية لدى "غريماس" هي بنية قادرة على استيضاح تنظيم المتخيل البشري، إنها إسقاط لأكوان جماعية وفردية.[١٥٥]

ورأيت أن هذا بالفعل ما تقوم به الأحلام؛ فهي إسقاط للفكر البشري والجماعة، مثال ذلك تقديس النبي ﷺ وعيسى عليه السلام في سيرة الأميرة ذات الهمة، والبطل في سيف وغيرهم، والحلم يعد عاملًا له دور محدد أثناء مسار الحكي والسرد يُلتزَم به حتى يُنجز، فمثلًا الحلم الذي رآه الأمير "عبد الوهاب" حول صلب "عقبة الملعون" أخذ يتردد صداه طوال عدة أجزاء من السيرة في سبيل إنجاز هذا العامل.

سادسًا- أسلوب النص الحلمي داخل السير الشعبية -موضوع الدراسة-، فهل تأثر بالنمط السائد للطبيعة الأسلوبية في السير الشعبية، أم كان له نمط وطبيعة خاصة؟

إن للسير الشعبية سمات خاصة، وبخاصة "الهلالية"؛ إذ تُرسل وتقال الأبيات الشعرية بين الفرسان المتبارزين، والبادئ فيهم هو الذي يختار الوزن والقافية، وكأن الأمر مبارزة شعرية أشبه بفن المنافرة والنقائض في الشعر العربي.

ويكثر كذلك استخدام لفظ الفارس قبل اسم ذلك الفارس، مثل الفارس أبي زيد أو

---

[١٥٣] انظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص٥٢-٥٤.
[١٥٤] انظر: أ. ج. غريماس، سيميائيات السرد، ص١٤٥-١٤٦.
[١٥٥] انظر: أ. ج. غريماس، سيميائيات السرد، ص١٤٦-١٤٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الفارس عنترة، وبعد ذلك يُذكر اسم القبيلة والنسب مثلًا؛ وذلك لغرض تأكيد الفتوة العربية المعروفة بالفروسية.[١٥٦]

فما انعكس من تلك السمات هو الاهتمام بوصف البطل بصفات القوم والإقدام، وأنه "سبع"، وذلك مثلما ورد في الحلم الذي رآه الملك "زايد":

رأيت منامًا أبدل اللذة والهنا بغم وحزن دائمًا وكدور
حلمت أننى واسع البر والفلا ملقى طريحًا ودمائي تفور
فوقى دياب مثل سبع كاسر وبقيت معه في الخلا مأسور
ضربني ضربة جاءت عليّ كأنها مدفع خرج من وسط وصور
فرحت على الأرض منطرحًا وأضحى دمائي على التراب بحور[كذا[١٥٧]]

ونظرًا لأن الهلالية مرت بمرحلتين، هما:

الأولى: مرحلة الغنائي الخالص وذلك قبل القرن السادس الهجري.

والأخرى: مرحلة القصص التي ظهرت في القرن الثامن الهجري أيام ابن خلدون.[١٥٨]

فإن بعض نصوص الأحلام جاء مشتملًا على الاثنين في حلم الزناتي الذي رآه ونصه: "والزناتي نام فرأى في منامه ولذيذ أحلامه أن أتته عربان مثل الجان، ولهم سلطان كبير الشأن، ومعهم العبد الذي أتى إلى عنده وراح وخلى رفاقته، وشاف فارسًا أشقر مثل السبع الغضنفر على اسم الديب وقاضى العرب في حكمه، وملكوه بلاده وقتل أجناده، فقام من مقامه طايش العقل واستعاذ من الشيطان"

وانزعج "خليفة" من ذلك وعرض الحلمعلى جلسائه، فروى "الهصيص" حلمًا يؤيد الفكرة، ونصه:

"وأنا حلمت بمثل هذا وأشار يقول:

منامًا حلمت بآخر الليل راعني بنارين من حولي تزيد لهيب
وقد حرقت ذيلى وهبت بأرضنا وصار تحرق كل أرض خصيب
وقد أحرقت شجرة النخل وغيره وعاد لها بالفيران دبيب
ومن بعدها قد راعني ديب أبيـ ـض فما مثله بين الكواسر ديب
وبعدها قد شفت فارسًا أحمر تحاربت أنا وإياه حربًا صعيب
ضربني رماني عالوطا يا زناتي وراح جوادي من وراه جنب ديب"[١٥٩]

---

[١٥٦] انظر: عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور، ص١٩١-١٩٢.
[١٥٧] تغريبة بني هلال، ص٣٠١.
[١٥٨] انظر: عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب، ص١٣٣.
[١٥٩] تغريبة بني هلال، ص٢١٠.

ومالت "الهلالية" إلى الاستعانة بالشعر في مواضع الفخر والحماسة والهجاء؛ لأنه أكثر شيء معبر عن عواطف الشخصيات؛ إذ نجد فيه النبرة العالية المرتفعة في الشعر، التي تؤثر في النفس مستعينة بحسن التقسيم والفواصل والسجع، بالإضافة إلى التأثير الموسيقي في نص السيرة نفسه.[١٦٠]

وقد تجلّى ذلك في بناء النص الحلمي سابق الذكر، فهو وحدة صغرى وسط بنية كبرى تأثر بها.

ومن السمات المميزة لأسلوب السير الشعبية الميل إلى الترابط والتراص، سواء أكان بحرف العطف (الواو) أم كان بكلمة (وبعدين)، فكل حدث يفضي إلى الآخر دون الحاجة إلى العودة إلى الحدث الأول، فلا تحدث تفريعات للحدث الواحد، فالأحداث جميعها رئيسة، وقد يتسع أسلوب السير ليشمل الإضافة التي تؤدي إلى التوليد الحكائي الأشبه بالموجود في "ألف ليلة وليلة"، بالإضافة إلى أسلوب التكرار، فقد يقوم البطل بتكرار الفعل أكثر من مرة.[١٦١]

من ذلك على سبيل المثال حلم "نادرة" الذي ورد في سيرة سيف؛ إذ تفضي كل جملة إلى الأخرى دون الحاجة إلى العودة إلى الماضي، إضافة إلى عدم وجود تفريعات، ونصه: "أتاني هاتف وقال لي: يا نادرة لا تخافي ولا تحزني؛ فعن قريب يقدم هنا رجل غريب اسمه الملك سيف بن ذي يزن التبعي اليمان، الذي ماله في زمانه مثيل لا ثاني، فإذا حضر ونظرتِه فتقدمي بين يديه واشرحي له قصتك؛ لأنه رجل سعيد وبأسه شديد، وهو الذي يخلص ولدك بقدرة الله الحميد المجيد، فلما سمعت من الهاتف ذلك وانتبهت من منامي، وهدأ روعي، وطابت علتي ..."[١٦٢].

من خلال تأمل نصوص الأحلام الواردة في السير - موضوع الدراسة -، يمكن ملاحظة اتفاق قوانين السيرة التي ذكرها د. خالد أبو الليل؛ إذ كان للأحلام تلك القوانين نفسها التي تقوم عليها السير، وهي: (البداية- التكرار- الثلاثة)[١٦٣].

قانون البداية: فالسير الشعبية تكاد تكون لها البداية نفسها والتنبؤ بالبطل، والأحلام تميزت كذلك بالبداية التي تكاد تكون ثابتة؛ إذ تبدأ بمفردات معينة تختص بالدخول في النوم والرؤيا، وبعد ذلك وجود هاتف أو النبي ﷺ أو عيسى أو الخضر، المهم وجود شخص آمر للرائي بفعل أمر ما، وبعد ذلك تنتهي تلك الوحدة الصغرى الخاصة بالحلم

---

[١٦٠] انظر: عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور، ص١٩٤.

[١٦١] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص٧٨-٨٠.

[١٦٢] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٢، ج٨، ص٨٨١.

[١٦٣] انظر: خالد أبو الليل، السيرة الهلالية – دراسة للراوي والرواية، تقديم: د.شمس الدين الحجاجي. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية، د.ط، ٢٠١١م)، ٣٠٩-٣١٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

باستيقاظ الرائي والبحث عن مفسر له، أو النهوض مباشرة لتنفيذ الآوامر التي طُلبت منه أثناء حلمه.

قانون التكرار: يقصد به تكرار القصص والموضوعات، وليس تكرار المفردات أو الجمل أو الصيغ الجاهزة؛ فالأحلام التي وردت كان جلها يدور إما حول تكرار مشاهد النبوءة، وإما دعوة الرائي وحضه على الدخول في الإسلام، وكان ذلك هو السمة العامة للأحلام، بالإضافة إلى تكرار مشاهد الخداع التي ظهرت بكثرة في سيرة الأميرة ذات الهمة.

قانون الثلاثة: يقصد به أن المشهد السردي لا يحتمل وجود أكثر من شخصيتين، فإن ظهرت ثالثة، فلابد من اختفاء إحدى الأخريات، وهو ما تجلى في الأحلام، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا.

أما الحوار، فإنه يقوم على الثنائية فقط في القص الشعبي، وإن ظهرت شخصية ثالثة، اختفت إحدى الشخصيات[١٦٤]، وهو بالفعل ما ظهر في بعض النصوص؛ فلم يوجد نص حلمي يمثل حوارًا بين ثلاثة أشخاص في آن واحد؛ إذ يدور بين شخصين دائمًا، وإن ظهرت ثالثة، فإحدى الشخصيات يختفي صوتها، وفي الغالب الأعم يكون الحوار أوامر أو إرشادات وتوجيهات للرائي، وحينها يكون الرائي مجرد متلقٍ أو مستمع ومنصت فقط، ولا يُحْدِث أي رد فعل في الحوار، فقط يكتفي بذكر بضع جمل: (سألته، قلت له) فقط إن كان الحلمبضمير المتكلم، أو (قال، سأل) إن كان بضمير الغائب. من ذلك على سبيل المثال ما رآه الملك "الروض" في سيرة الملك سيف: "نمت تلك الليلة فهتف عليّ هاتف في منامي وهو شخص وعليه حلة من حلل الجنة، وقال: يا روض انتبه من المنام ووَحِّد الملك العلام، أنا الفقير إلى الله الملك السلام، واسمي الشيخ عبد السلام، ثم رفع يده إليّ ومعه حربة من النيران، وقال لي: يا روض إن لم تسلم وتترك عبادة النيران وإلا أنفذت هذه الحربة في صدرك وسقيتك بها كاس البوار، ثم قال لي: إذا أسلمت، حُشِرْت مع الأبرار والرجال الأخيار، وكنت في شفاعة النبي المختار الذي يبعث آخر الزمان، وإن أبيت الإسلام، حشرت مع الكفار ودخلت في أسفل دار في أطباق النار، تُعَذَّب فيها ليلًا ونهارًا، فلما سمعت منه ذلك الكلام وقد هام قلبي إلى الإسلام، قلت له: وما الذي أقول يا سيدي عبد السلام، فقال لي: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله، فأسلمت على يده، وجعلت أكرر الشهادتين حتى طلع النهار، وقد نجاني ربي من النار...إلخ"[١٦٥].

---

[١٦٤] انظر: إيمان الغربي، ألف ليلة وليلة بين الذاكرة الشفاهية وتقييد المنطوق: الحكاية الإطارية نموذجًا، ص١٨٠.

[١٦٥] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج١٦، ص١٦٠٩.

ففي هذا النص الحلمي كان الهاتف يتحدث إلى الملك، والملك منصت ولم يصدر أي رد فعل لما يقال إلا من خلال قول: "وما الذي أقول يا سيدي.."، "فقال لي ... قل أشهد أن لا إله إلا الله.."، ففكرة الحوار القائمة على حديث بين شخصين تكاد تكون نادرة في الأحلام بعكس الشائع والمعتاد في النصوص الشعبية؛ إذ إن مهمة الأحلام هي توجيه الرائي ومخاطبته فقط وعليه التنفيذ. ومن ذلك ما رؤي في سيرة سيف: "فقالت له: يا ملك أتاني شيخك الخضر عليه السلام، وقال لي: يا جذع قفي قبال وادي الكلبيين، وانظري ولدي إذا رأيته نزل البحر فكوني له حاملة، ولا تتركيه إلا على شاطئ البر، فإنه لا يقدر أن يخلص نفسه من البحر، وهذا ملك من ملوك الإسلام الذين يقيمون الشرائع والأحكام، فوقفت في المكان الذي قال لي عليه حتى لقيتك...إلخ "[١٦٦]. وجميع الأحلام في السير – موضوع الدراسة-تسير على هذا النمط، وهنا يختلف أسلوب الأحلام عن المعتاد في السير الشعبية.

أما اللغة المستخدمة، فإن لغة نصوص الأحلام اكتسبت الطابع نفسه للإطار العام الموجودة فيه، ولم يكن لها لغة خاصة بها؛ ذلك لأن لغة السير الشعبية بسيطة سهلة، وأقرب إلى اللغة المنطوقة. ولأن المتلقي المستمع هو المقصود الأول من السير، فقد استلزم ذلك وجود التكرار الشفهي الذي ألزم الراوي بامتلاك ذاكرة جيدة، كي لا ينسى أيًّا من الأحداث الرئيسة؛ إذ كان من المستحيل حفظ كل المادة، فاعتمد على الارتجال وحاجة المتلقي، واعتمد على مخزونه التقليدي من التعبيرات والثيمات الثابتة وأشكال الحبكة الأساسية.[١٦٧]

ولعل هذا يساعد في فكرة نصوص الأحلام، وذكر الراوي لها، وحرصه على وجودها؛ لأنها ليست بنية أو موتيفًا عاريًا من الأهمية، فهي بمنزلة لبنة أساسية، وإلا لتجاهلها الراوي.

وقد تأثرت نصوص الأحلام بتلك اللغة والبنية الأسلوبية للسير الشعبية؛ إذ كُتِبَت شعرًا مثلما هو المعتاد في أسلوب الهلالية، وفي أحيان أخرى جمعت بين الشعر والنثر، وهي سمة الهلالية كذلك، وأحيانًا اقتصرت على اللغة القصصية فقط، مثلما ورد في الأميرة ذات الهمة وسيف بن ذي يزن لطبيعتهما السردية.

سابعًا- النبوءة و سرد الأحلام في السير الشعبية –موضوع الدراسة-:

تعد النبوءة رسالة إلى الإنسان بصفة عامة، سواء أكانت رسالة إلى عدو البطل فيحاول إيقافها ومحاولته تعد تحقيقًا لها، أم كانت رسالة خيرة تريح البطل وتزيد يقينه وتزيل الخوف عنه، وفي أغلب الأحيان يكون وجودها يقينًا للجماعة بدور بطلهم،

---

[١٦٦] نفسه، مج٢، ج٩، ص٩٢٥.

[١٦٧] انظر: دانوتا ماديسكا، "لغة وبنية السيرة الهلالية،" ت: محمد عبد الرحمن الجندي، مجلة الفنون الشعبية٥١ (١٩٩٦م): ٥٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فالنبوءة اعتقاد في قيمة البطل ودوره، وقيمتها تكمن في الإخبار بالمستقبل وقراءة الغيب ومعرفة المقدر للإنسان،[١٦٨] بالإضافة إلى أن الأحلام التنبئية تلعب دورًا مهمًّا في تأليف السير الشعبية؛ إذ تعمل على زيادة المشاهد والشخصيات وحبك السيرة.[١٦٩]

أما النبوءات التي وردت في الأحلام في السير موضوع الدراسة، فإنها تنوعت؛ إذ جاءت نبوءات تبشر بميلاد بطل عظيم وتمهد للسيرة كاملة، فالأب أو الأم يستبقان أحداث ولادة البطل بالحلمالذي يتنبأ بمولود خارق، ويلجأن إلى الكهنة مفسري الأحلام الذين يتنبأون بما سيحظى به من مكانة وما سيحققه من بطولة[١٧٠]، من ذلك على سبيل المثال ما ورد في سيرة الأميرة ذات الهمة، ونصه: "فنامت ذات ليلة من الليالي، فرأت في منامها ولذيذ أحلامها كأنها في صحرة من الصحراء، وحولها فسيح البراري المقفرات، وأنها تقدمت إلى تل عالٍ وقد انكشف ذيلها، وخرج من تحتها نار متأججة ولها ألوان متوهجة، فخرجت إلى الأرض فحرقت جميع ما عليها، ما بَعُد منها وما قَرُب، ثم بعد ذلك استدارت واستنارت فانتبهت فزعانة مرعوبة.."[١٧١].

تدور الأحداث السردية حول حكاية ميلاد الأمير "جندبة"، وذلك في العصر الأموي؛ إذ كان له صيت ذائع بالقوة والحكمة والتواضع، فيبدأ الراوي بحكاية ميلاده تعزيزًا لكونه رجل المعجزة؛ وذلك أن أباه الحارث كان أحد الفرسان الشجعان أمام عبد الملك بن مروان، وكان دائم السكنى في الأودية والقفار وصاحب غارات على أحياء العرب، وذات مرة أغار على بعض الأحياء العربية وسبى نساءها، وكان من بينهن امرأة ذات قدٍّ وجمال اسمها "الرباب"، وعندما سباها أخذ والدها يبكي، واتفقا في نهاية الأمر على أن يتزوجها بدلًا من أخذها أسيرة، وبالفعل قدم إلى والدها المهر المراد، وبعد زواجهما مضى بها الحارث إلى الصحراء والقفار فحملت، وبعدها رأت هذا النص الحلمي، وبعد رؤيتها الحلمذهب الحارث للبحث عن كاهن يفسر له النص الحلمي، فصادف في طريقه شيخًا كبيرًا فسره له بأنه سيُولَد له مولود ذو شأن عظيم، وسيخرج من صلبه ولد عظيم أعظم منه وأتقى وأحسن، لكن والدته ستتوفى عند خروجه إلى الدنيا، فهذا الحلمجاء نبوءة وتمهيدًا يبشر بالخير.

ومثال آخر الحلم الذي رأته "الأميرة ذات الهمة" عن ولادة ابنها "عبد الوهاب"؛ ونصه: "رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها في أيام صباها،

---

[١٦٨] انظر: شمس الدين الحجاجي، "النبوءة أو قدر البطل في السيرة الشعبية العربية،" مجلة الفنون الشعبية٣٦-٣٧(١٩٩٢م): ١٥-١٦.

[١٦٩] انظر: نعمة الله إبراهيم، السير الشعبية العربية، ص٦٢-٦٥.

[١٧٠] انظر: فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص٧٨.

[١٧١] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج١، ص٧.

وكانت تخرج تخطف ما تجد، فقال لها في المنام: يا فاطمة أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعي عنكِ هذه الغفلة واستعدي للنقلة، فأنتِ سيف من سيوف الإسلام، وسوف تُرْزَقِين ولدًا يكون ترسًا لقبري وحاميًا عن ملتي، وقد سألت الله تبارك وتعالى أن يوفقكم بالنصر ويلهمكم لذلك وينجيكم عند المهالك..."[١٧٢].

وثمة نبوءات تظهر كي تُعْلِمَ العدو بوجود البطل وبقدومه، لكن النبوءة تتحقق بالرغم من معرفة العدو سابقًا بما سيحدث، فهو لا يستطيع إيقافها مثلما حدث في الحلمالذي رآه "حرب بن شيبان"، ونصه: "من منام رأيته البارحة، رأيت كأن حية قد طوقت على رقبتي، وسحبتني صوب بلد المسلمين، وقد اشتغل خاطري من ذلك.."[١٧٣].فعلى الرغم من أن الحلمينبئ بقدوم الأميرة ومن ثم الاستعداد لملاقاتها؛ فإنهم وقعوا أسرى وانتصرت الأميرة.

وكذلك ما ورد في "الهلالية" عن الملك "فرمند"، ونصه: ""وأما ما كان من فرمند ملك مصر، فإنه في تلك الليلة حلم منامًا هائل المنظر، فقام مرعوبًا فأحضر الرمال وأشار يخبره عن ذلك يقول:

يقول الفتى الفرمند بن متوج	بدمع جرى فوق الخدود سجام
رأيت منامًا آخر الليل راعني	وأقلقني والعالمين نيام
رأيت نارًا ضرمت في بلادنا	قد أحرقت أشجارها واكرام
رأيت سباعًا ماليًا السهل والفضا	ومعهم لبوات بحسن قوام
يهبو لي بالعين قدام ناظري	كغزلان زنجبي في مراح خزام
فهممت إلى اللبوات أصيدهم	إلا وسبع أسمر على حام
ورفع إلى عنقه لهم فأثنى	فوليت منه هاربًا وهزام
فوليت نحو القصر هاربًا مرتعـ	ـب إلا وطير أبيض على حام
ضربني بمنقاره وحط مخالبه	في وسط قلبي والدما قد عام
ففريت من هذا المنام خايفًا	تحيرت يا ناس في هذه الأحلام[كذا[١٧٤]]

وفي بعض الأحيان أتت النبوءة داعمة للعدو لإثارة الحركة السردية، وانتصار العدو على البطل مثلما ورد في الأميرة من خلال ما رأته "صلبان"، ونصه: "إن الملكة صلبان رأت في منامها كأن المسيح يقول قد آن أوان الرهبانية واجتهادك في دين النصرانية، حتى ترتقي إلى درجة من لحق بالحواريين الكرام، وتكوني مع السيدة مريم عليها السلام، وتصبحي عن الدنيا مرفوعة، وكلمتك عند المسيح مسموعة وتصبحي في

---

[١٧٢] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٥، ج٤٢، ص١٢٨.
[١٧٣] نفسه، مج٤، ج٣١، ص٦٢.
[١٧٤] تغريبة بني هلال، ص١٨٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أهلك شفيعة."[١٧٥]

لقد تغيرت الأحداث؛ إذ تحولت إلى الرهبانية، وسافرت إلى دير النذور ومعها مجموعة من الرهبان والقساوسة والغلمان كي يكونوا عونًا لها؛ مما أدى إلى سفر أختها "الأميرة زنانير" إليها، فقبضت على "أبي محمد البطال" وأخته أسيرين إلى بلاد الروم. فليس شرطًا أن تأتي النبوءة للبطل فقط؛ إذ قد تأتي لهدف وغاية أخرى، وفي النهاية تصب في مصلحة البطل؛ إذ أدى ذلك إلى اجتماع المسلمين لإنقاذ أبي محمد، ومن ثم انتصروا على الرهبان.

وفي أحيان أخرى تأتي النبوءة لتنبه البطل إلى وقوع كارثة، مثلما ورد في "الهلالية" من خلال ما رآه القاضي بدير، ونصه: "(قال الراوي) ومن الاتفاق الغريب بأن القاضي بديرًا رأى تلك الليلة حلمًا وهو أنه قابض على حمامة بيضاء، وإذا بعقاب أسود قد هبط من الجو فخطفها وطار، فاستيقظ من المنام وهو في قلق عظيم، وسار إلى عند الأمير حسن، وقصَّ عليه الرؤيا، فقال ابن العم: إن هذا الحلميدل على ضيق وغم الآن وأن ابنتك مارية قد خطفها الأعجام.."[١٧٦].

ففي أثناء إحدى معارك أبي زيد مع الأعجام، أُسرت "مارية" ابنة القاضي، فاستنجد بالأمير دياب فرفض تلبية طلبه، فأرسل إلى الأمير حسن كي يساعده، وقبل أن يصل الرسول إليه لأنه ضل الطريق، رأى القاضي هذا الحلمفذهبا معًا إلى الأمير دياب، وأخذاه وذهبا لمساعدة أبي زيد، فلولا هذا الحلملما عرف القاضي ولا الأمير حسن بالكارثة، ولا بطلب أبي زيد المساعدة.

وقد تأتي النبوءة للبُشرى والتعويض مثلما ورد في الأميرة ذات الهمة عن "جندبة"، ونصه: "فرأى في منامه يقول: يا جندبة أبشر، فإن الله تعالى يعوضك عن رجلك الجنة، ولابد أن ترزق ولدًا يخلفك من بعدك ويملك البلاد وتطيعه العباد، فاشكر الله على هذا الحال، فلا تضيق صدرك على إذهاب المال.

قال: فانتبه وهو متعجب من ذلك المنام، ولم يزل ينتظر تلك الأحوال مدة من الزمان، وبعد ذلك طرقه الحمام..."[١٧٧].

وكانت الأحداث السردية القبلية لذلك الحلمتدور حول "مزنة" فرس جندبة التي سُرقت، فخرج جندبة ومعه مجموعة من الفرسان لقتال بني طي ليسترد فرسه، وأثناء القتال طُعن جندبة، ولم تعد لديه طاقة للإمارة، فعين أخاه (عطافًا) أميرًا على قبيلة "بني كلاب" بدلًا منه، ومنذ ذلك الحين انعزل جندبة في بيت فقير منفردًا عن الناس وزهد في

---

[١٧٥] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٤، ص٣١٤.

[١٧٦] تغريبة بني هلال، ص٥٠-٥١.

[١٧٧] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج١، ج١، ص٩٧.

الدنيا، وانقطع عنه أصدقاؤه، وأخذ جندبة يدعو الله أن تُعاد له "مزنة" على يد ابن له من تحت سيطرة "بني طئ"، وصلى ونام فرأى هذا النص الحلمي، وبعد ذلك توفي جندبة، وبعد دفنه بأيام ظهرت زوجته وهي حامل، واستجارت بأخيه "عطاف"؛ نظرًا لأنها لم تعد تملك شيئًا، فرحبت بها زوجة عطاف، وفي ذلك الوقت كانت زوجة عطاف حاملًا كذلك فوضعا معًا، وأنجبت زوجة جندبة ولدًا سُمي "الصحصاح" وزوجة عطاف أنجبت أنثى سُميت "ليلى"، وكان لـ "صحصاح" مكانة عالية مثلما دعا والده.

ولم تقتصر النبوءات على الإرشاد فقط والبشرى والتحذير؛ إذ قد تأتي لتعظيم دور البطل وسط الجماعة وتأكيد قيمته مثلما ورد في سيرة الأميرة، ونصه: "رأيت كأن انفتح في السماء باب كبير، ونزل منه قبة كبيرة من اللؤلؤ المكنون، وقد ملأ ضوءها الخافقين، وفيها جوارٍ أبكار كأنهن الاقمار، وضياء وجوههن أضوء من النهار، وفي تلك القبة من الفرش والإستبرق والسندس الأخضر شيء كثير، والجواري يصحن ويقلن: يا فاطمة أبشري برضا الله تعالى عنك، وسوف تبلغون من عدوكم المنى، ويزول عن قلوبكم العنا، وتصيرين عندنا عن قريب في هذه القبة الرفيعة، وتحشرين مع فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فانتبهت من منامي وأنا متنكرة يا بني في أمري."[١٧٨]

فالنبوءة جاءت للبطل وعن البطل؛ ذلك لأن الحياة لم تصل لما وصلت إليه إلا بفضل البطولة التي تغلبت على الشر[١٧٩]، بالإضافة إلى أن أهم مميزات الإبداع الشعبي تركيزه على أدوار الشخصيات ووظائفها؛ فالحكاية الشعبية لا تتميز بتفرد شخصياتها؛ بل بأدوارهم،[١٨٠] فجاءت النبوءة داعمة لذلك مستعينة بالحلممن أجل تأكيد تلك الوظيفة، بالإضافة إلى أن البطل يولد دائمًا غريبًا مرفوضًا منبوذًا، وكأن الحياة كلها ترفضه، ولكنه يتغلب على ذلك ويثبت وجوده.[١٨١] وأرى أن إثبات وجوده هو شعور جمعي لدى الأفراد؛ فإثبات وجود البطل هو إسقاط لإثبات وجودهم إزاء الحياة التي ترفض الإنسان وكأنه يجابهها.

فتلك المجتمعات تقوم بتأكيد هويتها ورغباتها عبر المرويات السردية؛ ومن ثم تضخم روايتها المتخيلة بالسرد مستعينة بحبكة تنعقد حولها الأحداث البطولية؛ فالمهام التي يقوم بها الأبطال تتركز حول فتح العالم، وتوسيع رقعة الإسلام أو التدشين لظهوره، مع أن كثيرًا من أولئك الأبطال عاشوا قبل الإسلام، مثل سيرة "سيف بن ذي يزن"، فأبطال السير يوفرون حماية رمزية متخيلة للمجتمع الذي صار حاضره يتهدد ماضيه

---

[١٧٨] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٧، ج٧٠، ص٩٢٢.
[١٧٩] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص ٢٠-٢٣.
[١٨٠] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص٧٧.
[١٨١] انظر: نبيلة إبراهيم، "ميلاد البطل،" مجلة الفنون الشعبية ١٣ (١٩٦٦م): ٢٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بقوة؛ لذلك لجأت الجماعة إلى الماضي واستعادته، ورسمت طابع الخلود لأبطاله.[١٨٢] ولذا ارتبط وجود البطل بالنبوءة كذلك؛ فهي التي تحدد مصيره وقدره ودوره الذي سيلعبه، ولا يستطيع أي إنسان أن يوقف ذلك القدر.

والنبوءة وظيفتها كذلك إخراج البطل من حيز الإنسان العادي إلى الأسطوري الخرافي، ومن ثم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالكون.[١٨٣] وعلى الرغم من أن له واقعًا تاريخيًّا في بعض السير؛ فإنه يتحرر من ذلك الواقع والارتباط، وعلى الرغم من وجوده داخل البيئة؛ فإنه يتحرر من إطارها.[١٨٤]

بالإضافة إلى ذلك، فإن البطل مادام مؤمنًا بالله وموحدًا به، فليس ثَمَّ صراع بين البطل والقوة والقدر، فالتصاعد الدرامي يحدث دون وجود ذلك الصدام بين الإنسان والله؛ لأن الله في صف البطل ما دام البطل مطيعًا له[١٨٥]، وهذه ظاهرة موجودة في سيف والأميرة ذات الهمة تحديدًا؛ لأن البطل هدفه الفتوحات والدعوة فهو مطيع لله.

وهذا ما أكدته نصوص الأحلام إذ كانت جلّها مؤيدة له، ولم تدخل معه في صراع، ولم أجد أثناء الدراسة حلمًا مؤرقًا للبطل وفي صراع أبدي معه؛ إذ كانت كلها داعمة له، ولم تظهر الأحلام المؤرقة للرائي إلا لدفع حركة السرد، وفي الغالب كانت تأتي للعدو، وليس البطل المدعم من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعيسى، والخضر، والأولياء الصالحين.

ثامنًا- سرد الأحلام وعلاقتها بأولياء الله الصالحين في السير الشعبية –موضوع الدراسة:

نظرًا لاهتمام الفكر البشري بالخلود بوصفه سدًا أمام الموت، فقد بدأوا في اختيار شخصيات نموذجًا لذلك الخلود المتسم بالخير، وكان منهم الخضر، [١٨٦]وقد ثبت لدى الثقافة الشعبية أن أولياء الله هم الأجدر بالتفسير، وهم الذين توصلوا إلى المعرفة دون غيرهم، وكذا الوصول إلى الغيبيات والأسرار؛ إذ إن الرؤيا الصالحة تظهر لشخص صادق ذي نفس صافية، كما أن أرواحهم تذهب إلى الأعلى، فيخبرها الله عز وجل بالرؤى والغيب، فتعود إلى اليقظة وهي محملة به.[١٨٧]

---

[١٨٢] انظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص١٩٥.

[١٨٣] انظر: شمس الدين الحجاجي، النبوءة أو قدر البطل، ص١٥

[١٨٤] انظر: فاروق خورشيد، "الزمان والمكان في السيرة الشعبية،" مجلة الفنون الشعبية ٤٣ (١٩٩٤م):٢٠.

[١٨٥] انظر: فاروق خورشيد، الأحلام في الموروث الشعبي، ص٥١.

[١٨٦] انظر: إبراهيم حلمي، "سيدنا الخضر في الإبداع الثقافي الشعبي،" مجلة الفنون الشعبية٢٣ (١٩٨٨م): ٨٩.

[١٨٧] انظر: فاروق خورشيد، الأحلام في الموروث الشعبي، ص٤٦.

وعلى سبيل المثال صَوَّر الموروث الشعبي "الخضر" بوصفه كاشفًا للأبطال طريقهم في الحياة، كما نبأهم بما سيحدث لهم، وكذلك ظهر بوصفه الحكيم العليم، فهو الآمر للأبطال وحيثما أمرهم يتوجهوا؛ [١٨٨]ولذلك ارتبط وجوده بالنماء والخضرة والتجدد والخلود، وبلغ الحب والتقدير له حد القَسم باسمه، وظهر ذلك في "الهلالية" على لسان خضرة، بالإضافة إلى كونه وسيلة لاستجابة الدعاء، مثلما حدث مع الهلالي في "التغريبة".

وقيل بأن اسمه الخضر بن إبراهيم عليه السلام، وأُرجع نسبه إلى آدم، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم، وتكاد تجمع الراوايات بأنه أحد أنبياء اليهود أو الأولياء الصالحين في بني إسرائيل، وبالرغم من ذلك، فلم يُقْطَع برأي واحد في ذلك.

ومن ألقابه: أبو العباس - ورد في سيرتي سيف وحمزة البهلوان-، والإمام الأعظم – ورد في سيرة حمزة- والخضر الأخضر أبو العباس – في سيرة حمزة-، ونقيب الرجال –في سيرة سيف-، وقطب الرجال – في السيرة الهلالية-، والأستاذ في سيرة سيف.[١٨٩]

وجُعل للخضر وسائل وقدرات سحرية ليخرج من مجرد كونه وليًّا إلى عَالِمٍ مطابق لسيدنا سليمان بكل سماته من سحر وجن وقوة ومعجزات؛ إذ جمع الخضر بين الولاية والسحر والقدرات المعجزة،[١٩٠] بالإضافة إلى أن شخصيته جسدت الزمن الأبدي اللامتناهي وتجدده، فالخضر في الفكر العربي موجود في كل مكان، لم يمت وهو يلبي نداء كل من يستغيث به، وهو يختلف عن الأولياء؛ لعدم وجود ضريح له لأنه لم يمت؛ ومن ثم فهو باقٍ بوصفه فكرة مجردة للبقاء الأبدي، وهو عقل وروح أبديان يشاركان الحياة تجددها واستمرارها ورغبة الإنسان الملحة في الخلود.[١٩١]

لذلك ظهرت نزعة إنسانية قوامها ابتكار كل ما هو عجيب، والعجيب يكسر المألوف، ويتجاوز الممكن، ليخترق المستحيل، ويحقق ما لا يمكن تحقيقه، محدثًا بذلك حالة من الدهشة، معتمدًا على الابتكار الذي يقيم علاقات غير متوقعة وغير ممكنة بين الأشياء. ومن صور العجيب المبني على التصورات الشعبية ذات الطابع الديني الاعتقاد في الولي الصالح وكرامته؛[١٩٢] لذلك استخدمت الأحلام العجيب لتؤكد مصداقية ما تود تأكيده.

فمن ذلك الحلم الذي ورد في سيرة سيف، ونصه: "فبينما أنا كذلك أخذني النوم

---

[١٨٨] انظر: إبراهيم حلمي، سيدنا الخضر في الإبداع الثقافي الشعبي، ص١٠٣.
[١٨٩] انظر: خالد أبو الليل، السيرة الهلالية، ص٩٠-٩٤.
[١٩٠] انظر: إبراهيم الحلمي، سيدنا الخضر في الإبداع الثقافي الشعبي، ص١٠٢.
[١٩١] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص١٩٧-١٩٨.
[١٩٢] انظر: أحمد زياد محبك، العجائبية في الحكاية الشعبية، ص٤٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فأتاني رجل يمشي على الماء ولا يبتل قدمه، فقال لي: يا غزال أنت من الناجين يوم القيامة، فقولي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن إبراهيم خليل الله، فقلت له: يا سيدي ومن أنت حتى لا يبتل قدمك من الماء؟ فقال لي: أنا الخضر أبو العباس...إلخ"[١٩٣].

ويأتي الخضر بقدرات جسدية خارقة من أجل نصرة الضعفاء والمظلومين، ففي الهلالية يتجلى الخضر ليظهر براءة خضرة الشريفة بعد المحنة التي تعرضت لها إثر شكوك زوجها في نسب ابنها؛ إذ يقذف الخضر بدبوس ليحدد لها نصيبها من مال زوجها، فيصيب الدبوس برمية الخضر جميع المال. ولم تغفل الثقافة العربية أن حدوث المعجزة يحدث بفضل الله وحب الله للخضر، فكل ما يأتي به الخضر هو من عند الله؛ ليساعد المظلومين وطالبي النجدة.[١٩٤]

ومن مميزاته وسماته دعوته إلى توحيد الله الواحد وعبادته، وذلك قبل البعثة وبعدها، وقد جعله الخيال الشعبي مبشرًا بظهور النبي ﷺ، وهو ما ظهر في سيرة سيف، بالإضافة إلى أنه يهدي إلى الإسلام، ويدعو الإنس والجن على حد سواء، بالإضافة إلى وجوده لحظة الموت والاحتضار، وكأنه يعطي للمتوفى صك الغفران والبشرى.[١٩٥]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في سيرة "سيف" عن شخص يدعى "صباح" يعبد البقر ويغير على القبائل، وذات مرة أسر فتاة من "تُبع"، وعندما رفضت الزواج بها عذبها، وبعدها رأى النص الحلمي، وعندما أفاق منه جدد إسلامه على يد سيف، وعرض عليه ابنته للزواج تنفيذًا لكلام الخضر وعرض مساعدة سيف، ونصه: " أخذني النوم في تلك الساعة، فأتاني في منامي شيخك الخضر عليه السلام، وهو يقول لي: إلى متى هذا البغي والعناد ومراكب الهوى والفساد؟ فوحق الملك الفتاح إن لم تسلم يا صباح وتترك هذا البغي والافتضاح، وإلا أهلكتك بهذه الحربة وأنكبك شر نكبة ... فإذا أفقت من منامك، فاذهب إلى ولدي الملك سيف بن ذي يزن وجدد إسلامك على يديه، وزوجه ابنتك الملكة صبيحة لتكون بذلك من الناجين من عذاب رب العالمين...إلخ"[١٩٦].

و ثَمَّ نص آخر يؤكد ذلك، ونصه: "وإذا بهاتف قد أتاه وهو يقول له: يا مصعب إلى كم هذا البغى والعناد وعدم الرشاد؟ أما آن لك أن ترجع وتتوب إلى رب العباد، فاترك إطاعة الشيطان، واتبع الملك الديان، وادخل في دين الخليل واعبد الله الجليل، وقل

---

[١٩٣] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج١٨، ص١٨١٤.
[١٩٤] انظر: إبراهيم حلمي، سيدنا الخضر، ص١٠١.
[١٩٥] انظر: نفسه، ص٩٧
[١٩٦] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، مج٤، ج١٦، ص١٦٢٥-١٦٢٦.

لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله، فإن فعلت ذلك، كنت من الناجين...إلخ"[١٩٧].

ولم يقتصر ظهور الخضر على الحلم فحسب، بل ظهر كذلك بعد استيقاظ الرائي، وهو أمر عجيب؛ إذ إن الخضر من الأولياء وقد توفي، وظهوره يكسب الأحداث قيمة وأهمية، ومن ذلك ما ورد في سيرة "سيف" بعدما أرسل الملك سيف العيار "مسابق" للملك برهوت ليتقصى أخباره ويدعوه للإسلام، فوضعه الملك في السجن، ورأت ابنة الملك هذا الحلمفعرضت على "مسابق" الزواج منه، وساعدته على الخروج من السجن تنفيذًا للحلم وما أمرها به الخضر عليه السلام، ونص النص الحلمي: " كنت نائمة في منامي فرأيت في النوم ... فاستجرت بهم فقالوا: قولي لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله، فقلت هذه الكلمة ولما استيقظت وجدت رجلًا واقفًا عندي، وقال لي: يا جميلة اعلمي أن هذه الكلمة لما قلتها قد نقلتك من الظلمات إلى النور، وما بقي لك مقام عند الكفرة اللئام، فقومي من هنا، وانزلي إلى مسابق العيار، هو مسجون عند أبيك ففكيه من وثاقه، وعجلي في إطلاقه، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لك معه نصيبًا حتى تكوني له زوجة ولك زوجًا، فقلت له: ومن أنت يا سيدي؟... فقال لي: أنا الخضر أبو العباس فقومي كما أمرتك...إلخ"[١٩٨].

وبعد تأمل الخضر ووجوده، فإن اللافت للنظر أنه ورد فقط في أربعة أحلام (في سيرة سيف) في جملة السير – موضوع الدراسة-، بالإضافة إلى الحلمالمعروف عنه مع خضراء الشريفة، ولكنه لم يُذكر هنا؛ لأنني لم أعثر على النسخة الأصلية القديمة له، بل وجدت ما رواه عبد الرحمن الأبنودي فنأت عنه، فعدم وجود الخضر سوى في تلك النصوص الأربعة أو الخمسة، واختفاؤه من سيرة الأميرة يؤكد أن الأحلام انعكاس للثقافة، وأن لها هدف معين تأتي من أجله. إن كل بنياتها تأتي داعمة للفكرة، فسيرة الأميرة كانت في فترة الإسلام وبعد دخوله؛ لذلك جاءت جميع الأحلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام، أو ذُكِرَ هاتف فقط، ولم تذكر هذه السيرة الخضر؛ نظرًا لمكانة الرسول والمسيح، فهما الأحق والأولى بالذكر، خاصة أن المعارك حينئذٍ كانت ضد الروم والنصرانية وليس ضد الكفار بصفة عامة، فكان الحرص على وجود الرسول صلى الله عليه وسلم وتأييده للأبطال، في حين أن ظهور الخضر في سيرة سيف كي يؤكد النص السردي أن البطل مؤيد من جميع النواحي: من الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم، وأولياء الله الصالحين.

بالإضافة إلى قدرات البطل الخاصة ومحاولته الانتصار على الكفار ونشر التوحيد، ومن المؤكد أن الخضر كان دوره أكثر بروزًا في الهلالية؛ لأنها تعبر عن اكتمال السير الشعبية ونضجها، برغم كثرة مجيئه في سيرتي الأميرة وسيف؛ ذلك لأن

---

[١٩٧] سيرة الملك سيف بن ذي يزن، ج١٨، ص١٧٩١.

[١٩٨] نفسه، ج١٧، ص١٧٤٣-١٧٤٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الهلالية اعتراها التغيير، وبصورة أوضح لأنها تنتقل أكثر على الألسن من السير الأخرى، وكذلك نظرًا لمكانة الأولياء الصالحين في نفوس الشعب المتلقي لذلك الأدب؛ فالخضر كانت له مكانة مميزة بكثرة في سيرة سيف والهلالية، أكثر من الأميرة التي ركزت على الرسول صلى الله عليه وسلم والمسيح عيسى عليه السلام، وكل ذلك يؤكد أن الحلم ليس له قالب ثابت، بل يتلاءم والنص الموجود فيه؛ ومن ثم تبرز وظيفته السردية.

تاسعًا- دلالة الزمان والمكان في سرد الأحلام الواردة في السير الشعبية –موضوع الدراسة:

من أهم سمات السرد الشعبي رصد وعي الفرد بالزمان والبيئة من جميع المستويات الفنية والاجتماعية والثقافية والسياسية وما شابه؛ وذلك نظرًا لتعدد الرواة الشفويين لها، فسيرة الأميرة على سبيل المثال قامت على الحيلة والقوة.[١٩٩]

والبطل في السير الشعبية لا يتحرك في فراغ مطلق، بل من واقع البيئة المرسومة له، وفي الآن نفسه يستطيع تجاوز حاجز المكان ويتحرك دون قيود مكانية، فهو يتحرك في البيئة العربية كلها ويخرج إلى البيئات الحضارية الأخرى[٢٠٠]؛ ذلك لأن الانتقال من مكان إلى مكان يصاحبه تحول في الشخصية مثل الرحلات. أما الانغلاق في مكان واحد دون التمكن من الحركة، يعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي.[٢٠١]

ففي سيرة سيف يُلاحظ وجود اسم سيف أرعد وسيف بن ذي يزن، فوجود اسم سيف عند كل من البطلين اليمني والحبشي قد حقق قهرًا لحدود الزمان والمكان، وكذلك نظرًا لتحرر البطل فيها من عنصري الزمان والمكان؛ فالبطل يتحرك في المسافات الشاسعة عبر الجان أو الأدوات السحرية التي يُزود بها، فالبطل يتحرك في كل أرجاء الأرض وباطنها والسماء وأعماق البحار، وكل ذلك يخلق جوًّا شبيهًا بجو الأحلام أو الأساطير، إذ يلتقي الماضي بالحاضر في منتهى السهولة والبساطة وكذلك عبر الزمان والمكان[٢٠٢]؛ ذلك لأن الزمن عبارة عن

---

[١٩٩] انظر: منصور بويش، السرد الشعبي في التراث العربي، ص١٠٣.
[٢٠٠] انظر: فاروق خورشيد، الزمان والمكان، ص١٩.
[٢٠١] انظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص١٠٧.
[٢٠٢] انظر: فاروق خورشيد: الزمان والمكان، ص٢١.

لحظة سردية تكون معلقة بين حدثين، حدث الفعل وحدث القول، أي بين لحظة إنجاز الفعل ولحظة التفوه بالإخبار عنه.[٢٠٣]

وفي أحيانٍ كثيرة كي يحدث ذلك تُستدعى سوابق زمنية تعني تداعي الأحداث الماضية التي سبق حدوثها لحظة السرد، والتي استرجعها الراوي في الزمن الحاضر (نقطة الصفر)[٢٠٤] وأرى أن الأحلام ينطبق عليها تمامًا فكرة السوابق الزمنية؛ وذلك إذا عُدَّت مثل الروايات من حيث الزمن.

فمنذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى... فالراوي يحكي أحداثًا قد انقضت، ولكن بالرغم من هذا الانقضاء، فإن الماضي يمثل الحاضر الروائي.[٢٠٥]

والأحلام بمجرد بداية روايتها يكون كل شيء قد انقضى وأصبح ماضيًّا؛ فزمن الحلمماض حاضر في الآن نفسه؛ مما يؤدي إلى خلق نوع من الحرية؛ فالأحلام في حد ذاتها عابرةً للزمن والمكان؛ فما يراه الشخص في عدة ساعات يراه في حلمه في لحظة، وكذلك الأمر في المكان، فالأحلام تتجاوزه؛ إذ يمر بعدة أماكن وهو نائم في سريره، من ذلك على سبيل المثال عندما يرى الملك سيف وهو في مكانه خادمه من الجن "عيروضًا" في مكان آخر غير الذي يوجد فيه "سيف" ويستغيث به، ونصه: "يقول الملك سيف بن ذي يزن رأيت في منامي هذا خادمي عيروضًا بين جماعة من جبابرة الجان، وهم يضربونه بالأعمدة الحديد وهو في قيود من الحديد، وكلما يضربونه يستغيث بي، ويقول: أين غيبتك يا ملك الزمان بين الملوك والفرسان تنظر خادمك عيروضًا في ذلك الهوان؟ فلما نظرت إلى ذلك، ضاق صدري وذهب صبري، فالتفت إليَّ وقال لي: يا أبا دمر كيف أكون خادمك وتتركني أقاسي حرارة العذاب وأضرب ضرب الكلاب؟ يا أبا مصر أنا بك مستجير، يا أبا نصر الحقني ولا تفتني، فانتبهت كما تروني على ذلك...إلخ"[٢٠٦].

فعندما يقول له "يا أبا نصر الحقني" يؤكد أن كلًّا منهما في مكان آخر، وأن على سيف الانتقال إلى ذلك المكان.

ومن ذلك الأحلام التي تدور حول رؤية أحوال القيامة وأحداثها، وكأن الرائي خرج عن إطار الزمن المعتاد والواقعي ليرى الغيب والمستقبل؛ فإنه بذلك يفارق زمنه إلى زمن آخر، على سبيل المثال ما رآه البطريق في سيرة الأميرة ذات الهمة، ونصه: "ولم تكن أكثر من ساعة حتى أخذني النوم، فنمت فأبصرت في نومي كأن القيامة قد

---

[٢٠٣] انظر: عبد الرحمن الكردي، الراوي و النص القصصي، ص٤٧.

[٢٠٤] انظر: مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة: رواية تيار الوعي نموذجًا. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٨م)، ٢٤.

[٢٠٥] انظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص٤٠.

[٢٠٦] سيرة الملك سيف بن ذي يزن: مج٢، ج٩، ص٩٠٢-٩٠٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قامت، والأهوال قد قامت، والناس بين يدي الحق، وقد افترقت الناس، افترق منها فرقة وبين يديها رجل جميل، والناس يقولون: هذا محمد بن عبد الله قد شفع في أمته...إلخ"[٢٠٧].

فما يراه النائم يستغرق وقتًا أطول من الوقت الواقعي الذي يمر به، وعندما رأت "وطفا" ابنة الأمير دياب بحرًا من الدم وأحداثًا مستقبلية؛ فإنها قد انتقلت من الزمن الواقعي إلى زمن آخر له مقاييس مختلفة، وذلك في قولها:

قد شفت بحر من دم	وأنت بوسطه غرقان
شفتك في وسطه تسبح	وكلت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تخرج	أنا شفتك بعيان
أنت تنادي يا أبا زيد	هيا يا أبا شهبان
في سرعة قد أتاك	ومد إليك الزمان
وقال لك يا أبا موسى	أمسكني بالدرعان
الحال قدرًا في عاجل	وقد جابك الصيوان[كذا[٢٠٨]]

للأحلام زمن يتميز بالتحرر من القيود المعتادة، فيجوز فيها ما لا يجوز في الأوقات الأخرى؛ إذ زمنها غير زماننا ومكاننا، والاستعانة بالحلمتعد وسيلة للبطل تكسبه نوعًا من التحرر؛ ذلك أن التحرر في الأساس سمة من سمات البطل الشعبي في السير الشعبية، إذ يتحرر من قيدي الزمان والمكان، فهو لا يرتبط بمكان معين - بالرغم من بدايته بذلك المكان- ولا بزمان معين - بالرغم من بدايته من زمان محدد ومعلوم-، فهو بطل عام يمثل الأمة العربية بأكملها[٢٠٩]، ولذلك رأيت أن ذلك ينطبق على الأحلام، ولعل استخدامها بكثرة كذلك؛ لأنها لا تقيد بزمن ومكان، ولأنها تمثل الأمة العربية وفكرها بوجه عام، وبذلك تتحقق الغاية من العملية السردية.

عاشرًا- سردية الأحلام الواردة في السير الشعبية -موضوع الدراسة-، ورؤية الفرد للعالم الخارجي:

إن الراوي في القصص الشعبي يعكس رؤية جمعية تجاه العالم ورؤية الجماعة الشعبية لنفسها وللآخرين وموقفها من الحياة[٢١٠]، وفي ضوء ما يعانيه الفرد من صعوبات يلجأ إلى خلق حصن يحميه - عن طريق الماضي- ثم ينكفئ على ذاته؛ إذ

---

[٢٠٧] سيرة الأميرة ذات الهمة، مج٣، ج٢٤، ص٢٩٠.

[٢٠٨] تغريبة بني هلال، ص٤١.

[٢٠٩] انظر: فاروق خورشيد، الزمان والمكان، ص١٩.

[٢١٠] انظر: محمد رجب النجار، من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي. (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج٢، د.ط، ٢٠٠٣م)، ١٨٠.

يستلهم الماضي لمواجهة الصراع الداخلي والخارجي؛ ومن ثم يخلق نزعة الطمأنينة من خلال انتمائه إلى أمة قوية، ويؤدي ذلك إلى استنهاض الهمة؛ وفي سبيل العودة إلى الماضي يحدث ما يأتي:

يزيد الراوي العثرات الموجودة في الماضي ويبالغ في إظهار المنجزات؛ فيتحول الماضي إلى عالم سحري، أما الحاضر، فهو لحظة عابرة.

يهتم الراوي بجمع ما يناسب موقفه الشعوري واختياره؛ ولذلك تعد السيرة واحدة من أسلحة الدفاع عن الذات الفردية والجماعية.[٢١١]

فلكل مجتمع مجموعة من "الأفكار الشعبية" التي تمتلكها مجموعة من الناس حول طبيعة الإنسان والعالم المحيط به، وهذه الأفكار تتجلى في الحكايات الشعبية وكل الأنواع الفولكلورية؛ بغية تأكيد قضية معينة متضمنة وكامنة خلف تلك الأفكار، فالرؤية الواحدة للعالم تعتمد على تلك الأفكار.[٢١٢] ولعل ذلك يؤكد فكرة الأحلام التي تعد أفكارًا شعبية تتضمن قضايا معينة؛ مثلًا رؤية النبي ﷺ أو الخضر أو عيسى كلها تعبر عن أفكار تُبث في النص الشعبي من خلال الأحلام؛ ومن ثم تعكس ثقافة ذلك المجتمع ورؤيته للعالم، بمعنى أنه عندما يُسلم المرء بسبب رؤيته النبي ﷺ في المنام، فهذا يؤكد الدافع الديني، وفكرة أن كل ما هو مذكور أو حتى ورود ذكر النبي عليه الصلاة والسلام، فهو مقدس ويُقبل دون وجه اعتراض أو حتى إعمال المنطق فيه، ولذلك فإن الحلم يعد وحدة من وحدات رؤى العالم.

يُضاف إلى هذا أن السيرة تعبر عن اللاوعي الجمعي، ومصدر هذا الإحساس والتعبير شعور الفرد بالعقبات المخزنة والمكنونة في لاشعوره منذ طفولته حتى مرحلة التفرد والاكتمال، بالإضافة إلى أن السيرة تنشأ بدافع النموذج الأصلي والقوة الخيرة المستكنة في نفس كل إنسان، وهي التي تدفعه إلى تحطيم العقبات في سبيل الوصول إلى الحياة المستقلة؛ فالطفل يولد لأبوين ولكنه يظل متعلقًا بأمه؛ لأنه لا يريد سطوة الأب وسيطرته، فيتعلق بأمه هروبًا من تلك السيطرة؛ ولذلك تقوم جميع السير على فكرة الغربة، أو أن يُولد البطل وأبوه كاره له، فيبتعد الابن، وبعد أن يشب ويقوى يعود لقومه؛ إذ إنه في هذه الحالة لا يخشى سطوتهم.[٢١٣] وقد تجلى ذلك في سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، وكذلك سيرة الملك سيف بن ذي يزن من حيث الابتعاد وارتباط الابن بأمه.

ومن الثيمات التي تميز السير الشعبية ورؤيتها للعالم وجود علاقة مشتركة بين

---

[٢١١] انظر: يوسف أحمد إسماعيل، السرد الشعبي بين سلطة الإقصاء وبلاغة الخطاب، ص١٠٩.

[٢١٢] انظر: آلان دندس الأفكار الشعبية بوصفها وحدات رؤى العالم، ص١١٤.

[٢١٣] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص١٢٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أبطال بعض السير؛ نتيجة التأثير المتبادل، فعلى سبيل المثال نجد أن عنترة وأبا زيد وعبد الوهاب ذوو بشرة سوداء، نتيجة لأسباب طبيعية لدى بعضهم، مثل عنترة فأمه إثيوبية، أما الآخرون، فكان السبب مجهولًا؛ مما أدى إلى زيادة الاغتراب، ذلك الاغتراب الذي يعانيه الفرد في العالم.[٢١٤]

ومن ثم فإن السيرة الشعبية بزخمها المعروف وتمدد عنصري الزمان والمكان لا تعني الأحداث التي ترويها فحسب؛ بل تعني إسقاطات الواقع وحلم الشعب من خلال تلك النصوص، فعندما يروي الراوي للشعب، فهو يحاول إشراكه في تحقيق الحلمالكامن في رؤيته، فما يحمله النص بوجه عام يشمل طموح الشعب وأمله في التغلب على الواقع المنكسر أو المتخاذل.[٢١٥] فضلًا عن ذلك، فالسير الشعبية تعد معرضًا للآراء الجريئة، وتناقش أهم القضايا المسكوت عنها في الثقافة السائدة، تلك الرؤية التي لا يجرؤ على البوح بها أي شخص، وغاية ذلك الأدب هو تحقيق ذات البطل من خلال نجاحه .[٢١٦]

ولذلك فإن البطل يكون تاريخيًّا نموذجيًّا مرحليًّا؛ ذلك لأنه يتخطى الواقع إلى الأعم والرمزي، ومن ثم يخرج من حيز الواقع إلى النص الحلمي، وما يجب أن تكون عليه أحلام الشعب المثالية، فهو قوي البنية لا يُكسر، وإن خُدع في لحظة، انتصر في النهاية، فأحلامه هي أحلام الجماعة وانتصاره انتصار للأمة ورؤيتها للمستقبل؛ ومن ثم فهو فوق الفردي الواقعي، وكل تصور لفرديته مرتبط بجماعته، فهو جزء ليشمل الكل، حتى في خلقه لصورة المرأة، فهو يرسمها فوق كل الفردي الواقعي، إذ يرسم صورة امرأة مرتبطة بتحرر الأمة دون الإخلال بقيم المجتمع، فهو يرسم ويصور المرأة التي لا يمكن العيش معها على المستوى الفردي الواقعي بل التي يُحلم بها ذهنيًّا، وكأن القصور ليس في تصورها مثالية، بل في عدم القدرة على العيش معها؛ فهي قوية متعلمة خبيرة وقائدة، فهي نموذج للأفضل الذي يسهم في تطور الأمة ونهضتها، وهي امرأة الوعي الجمعي، وأوضح نموذج بين أيدينا سيرة الأميرة ذات الهمة التي تعبر عن تلك المرأة.

لذلك يصور الأدب الشعبي في مجمله الحلول الممكنة للتخلص من الأزمات الاجتماعية والسياسية؛ فتنشأ الحتمية المنتصرة لصالح المستقبل، فعندها يروي الراوي ويتخير أحداثًا معينة من التاريخ يختارها وفق رؤيته وما يخدم تلك الغاية المرجوة، ولعل ذلك يفسر سبب اختياره للأحلام كي يدعم رؤيته وغايته من أجل خلاص الجماعة.[٢١٧]

فسلوك الأفراد في حد ذاته يعد منجزًا سرديًّا؛ ذلك لأن السلوك الفردي يدرك في ذاته

---

[٢١٤] انظر: دانوتا ماديسكا، لغة وبنية السيرة الهلالية، ص٦٣.

[٢١٥] انظر: يوسف أحمد إسماعيل، السرد الشعبي، ص١٠٤-١٠٥.

[٢١٦] انظر: محمد رجب النجار، من فنون الأدب الشعبي، ص٢١٦-٢٢٢.

[٢١٧] انظر: يوسف أحمد إسماعيل، السرد الشعبي، ص١١٠.

بوصفه ممارسة عينية، أي بوصفه تحققًا خاصًّا لشكل سلوكي عام، كما يدرك في علاقته بالسلوك الإنساني بوصفه مجموعة من السنن المتحكمة والمؤولة لما هو متحقق في شكل خاص[٢١٨]، فما يحدث في السير لا يعد طابعًا فرديًّا خاصًّا بالبطل، بل هو طابع جماعي يعيش في اللاوعي، مثل الأحلام التي يراها الإنسان في كل زمان ومكان، وهما معا يعدان تركيبة جمعية للنفس الإنسانية التي تورث. وكما أن الأحلام تنشأ في حالة تنخفض فيها حدة الوعي، بحيث يكف عن العمل في الوقت الذي تتدفق فيه مادة اللاوعي، فكذلك تنشأ الخيالات الأسطورية التي تنشأ عن النموذج الأصلي في مثل هذه الظروف النفسية، فالإنسان البدائي لا يفكر عن وعي، وإنما أولى لنا أن نقول إن هناك شيئًا يفكر بداخله[٢١٩]. ومن الطبيعي أن يتلون الأدب الشعبي بعوامل الليل القاسي، وهموم الوجد، والقلق والعجز إزاء الطبيعة، وهنا نجد الحدوتة والمثل الشعبي والخرافات وتفسيرات الأحلام تتضافر لتوفر للإنسان اتزانًا انفعاليًّا، وصحة نفسية وشعورًا بالكرامة إزاء تلك التجريحات في الوعي والمصاعب الوجودية.[٢٢٠]

ويوحي هذا بأن الحلم الذي يظهر لفرد ما و الذي يعطي دلالة محددة - مثل رؤية فرد دخوله الإسلام ورؤية غيره تقريبًا المضمون نفسه؛ فإن اجتماع تلك السلوكيات الفردية يكون لنا السلوك الجماعي وما تفكر فيه ويعطي نظرة عامة. وهذا ما حدث في سيرة سيف والأميرة؛ إذ يعد تكرار مشاهد الأحلام تأكيدًا للاعتقاد والرؤية نفسها.

ولأن عالم الإبداع الشعبي شديد الالتصاق بالواقع والتعلق باللاواقع في آن واحد، فهو قادر على مزج الحقائق الوجودية وحقائق العالم الآخر وفقًا لموروثاته والدوافع النفسية الجمعية [٢٢١]، لذلك يحتضن الحلم ويقبله؛ إذ إن الحلم الوحيد الذي يجمع بين العالمين، وكأنه من أهم الدعائم والوسائل التي يستعين بها الإبداع الشعبي.

وفي ضوء الحديث عن السرد، فإن الإمكانات السردية لرؤية العالم هي فعل سردي يأخذ على عاتقه سرد مجموعة من الأحداث التي تشكل القصة بوصفها نصًّا سرديًّا، فكما أن التجربة الفردية تجربة فريدة لا يمكن إعادة إنتاجها إلا من خلال إدراجها داخل نسق عام، هو تكثيف مجموع السلوكيات الممكنة، فإن الفعل السردي في تفرده وخصوصيته يجب أن يُدرك بوصفه تحققًا لإمكانٍ معينٍ ضمن إمكانات أخرى متضمنة داخل نص سردي كوني[٢٢٢]. والأحلام تعد فعلًا سرديًّا ينطبق عليها الكلام

---

[٢١٨] انظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص٥٥.

[٢١٩] انظر: نبيلة إبراهيم، ميلاد البطل، ص٢٧.

[٢٢٠] انظر: علي زيعور، "الحلم وتأويله في التراث الشعبي العربي،" مجلة التراث الشعبي ١١-١٢ (١٩٨٠م)، ٦٥-٦٦.

[٢٢١] انظر: نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية، ص٧٦

[٢٢٢] انظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص٥٦-٥٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

نفسه، فتعطينا صورة كونية عن المجتمع، وتؤكد فكرة البنى الصغرى العميقة التي يتكون منها النص والتي تتمثل في الأحلام.

ويستعان بالأحلام كذلك؛ لأن الأدب الشعبي من سماته إضفاء "الواقعية"؛ إذ يجاهد ويأخذ القاص على عاتقه أن يجعل ما يحكيه يرتدي ثوب الحقيقة، حتى وإن بدت بعض الأحداث المسرودة غريبة، وهو يحاول أن يضفي عليها طابع الصدق، حتى تبدو موافقة للحياة فيتقبلها السامع ويتأثر بها، وتُشْبَع رغباته واحتياجاته[٢٢٣].

باختصار إن الأدب الشعبي والأحلام ينبعان من اللاوعي الجمعي تعبيرًا عن خلجات النفس؛ ذلك أن الإنتاج الشعبي إنتاج تتحكم فيه "الآلية النفسية"، وتلك الآلية تشبه آلية الذاكرة التي تظهر في الأحلام، ومن ثم فالأدب الشعبي أصدق تعبيرًا عن الشعب من الأدب الفني الفردي أو الذاتي بعيدًا عن المنطق؛[٢٢٤] ولذلك كان للأحلام دور مهم في بنيات السير الشعبية.

[٢٢٣] انظر: نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، ص٢٣-٢٤.

[٢٢٤] انظر: نفسه، ص١٣.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم حلمي، "سيدنا الخضر في الإبداع الثقافي الشعبي،" مجلة الفنون الشعبية٢٣ (١٩٨٨م).
٢. إيمان الغربي، ألف ليلة وليلة بين الذاكرة الشفاهية وتقييد المنطوق: الحكاية الإطارية نموذجًا.
٣. تغريبة بني هلال، غريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، وحروبهم مع الزناتي خليفة، وما جرى لهم من الحوادث والحروب المخيفة. (مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.ط، د.ت).
٤. خالد أبو الليل، السيرة الهلالية – دراسة للراوي والرواية، تقديم: د.شمس الدين الحجاجي. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية، د.ط، ٢٠١١م).
٥. دانوتا ماديسكا، "لغة وبنية السيرة الهلالية،" ت: محمد عبد الرحمن الجندي، مجلة الفنون الشعبية٥١ (١٩٩٦م).
٦. سليمان العطار، "الموتيف في الأدب الشعبي والأدب الفردي،" مجلة الفنون الشعبية٨٦ (٢٠١٠م).
٧. سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب. (بيروت: المكتبة الشعبية)
٨. سيرة الملك سيف بن ذي يزن. (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الدراسات الشعبية، مج٤، ج١٧، د.ط، ١٩٩٩م).
٩. شاكر عبد الحميد، الحلم والرمز والأسطورة- دراسات في الرواية والقصة.
١٠. شمس الدين الحجاجي، "النبوءة أو قدر البطل في السيرة الشعبية العربية،" مجلة الفنون الشعبية٣٦-٣٧(١٩٩٢م).
١١. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية. (مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ط، د.ت).
١٢. عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي. (مصر: مطبعة جامعة القاهرة، كلية الآداب، د.ط، ١٩٥٦م).
١٣. عبد الحميد يونس، دفاع عن الفولكلور. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٣م).
١٤. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م).

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٥. عبد الله بريمي، "التفكير الأيقوني نحو سيميائيات لتأويل العمل الفني – الإنتاج والتلقي،" مجلة سيميائيات ٥ (٢٠١٥م).
١٦. علي زيعور، "الحلم وتأويله في التراث الشعبي العربي،" مجلة التراث الشعبي ١١-١٢ (١٩٨٠م).
١٧. غراء مهنا، "الرمز في الحكايات الشعبية،" مجلة الفنون الشعبية٣٤ (١٩٩١م).
١٨. فاروق خورشيد، "الزمان والمكان في السيرة الشعبية،" مجلة الفنون الشعبية٤٣ (١٩٩٤م).
١٩. فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية. (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط١، ١٩٩٤م).
٢٠. محمد رجب النجار، البطل في الملاحم الشعبية العربية – قضاياه وملامحه الفنية-.(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الثقافة الشعبية،ج٢،ج٢، د.ط، ٢٠١٨م).
٢١. محمد رجب النجار، من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي. (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج٢، د.ط، ٢٠٠٣م).
٢٢. مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة: رواية تيار الوعي نموذجًا. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٨م).
٢٣. منصور بويش، السرد الشعبي في التراث العربي: التشكل والأنواع.
٢٤. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ط، د.ت).
٢٥. نبيلة إبراهيم، المقومات الجمالية للتعبير الشعبي.
٢٦. نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة-دراسة مقارنة. (مصر: المكتبة الأكاديمية، ط٥، ١٩٩٤م).
٢٧. نعمة الله إبراهيم، السير الشعبية العربية. (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ١٩٩٤م).
٢٨. يوسف أحمد إسماعيل، "السرد الشعبي بين سلطة الإقصاء وبلاغة الخطاب،" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية٣١ (٢٠١٧م).

Translation of sources and references into English

1) Ibrahim Helmy, "our green master in popular cultural

creativity," popular arts magazine, 23 (1988).
2) Iman al-Gharbi, one thousand and one nights between oral memory and operative restriction: the typical frame tale.
3) The strangeness of Bani Hilal, the strangeness of Bani Hilal and their departure to the countries of the West, and their wars with the Zanati Khalifa, and the terrible incidents and wars that happened to them. (Egypt: Mohamed Ali Sabih and sons library and Printing House), Dr.I, Dr.C.
4) Khaled Abu Al-Lail, the Crescent biography – A Study of the narrator and the novel, presented by: Dr.Shams al-Din al-Hajji. Cairo: General Authority for palaces of culture, library of popular Studies, Dr.I, 2011 .
5) Danuta madiska, " the language and structure of the Crescent biography," t: Mohammed Abdul Rahman Al-Jundi, Journal of folk arts, 51, 1996.
6) Suleiman Al-Attar, " the motif in folk literature and individual literature," Journal of folk arts, 86, 2010.
7) Biography of the princess with inspiration and her son Abdul Wahab. Beirut: the people's library
8) Biography of King Saif bin Thi Yazan. Cairo: General Authority for palaces of Culture, popular Studies, Vol.4, p. 17, D.I, 1999.
9) Shaker Abdul Hamid, dream, symbol and Legend - studies in the novel and story.
10) Shams al-Din al-Hajji, "the prophecy or fate of the hero in the Arab folk biography," Journal of folk arts, 36-37,1992.
11) Abdul Hamid Yunus, the folk tale. Egypt: Egyptian General Organization for authorship and publishing - Arab writer's

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

house for printing and Publishing, Dr.I, Dr.C.
12) Abdul Hamid Younis, al-Hilali in history and popular literature. Egypt: Cairo University Press, Faculty of Arts, Dr.I, 1956.
13) Abdul Hamid Yunus, defense of folklore. Egypt: Egyptian General Organization for writers, Dr.I, 1973.
14) Abdullah Ibrahim, Encyclopedia of Arabic narrative. Beirut: Arab Foundation for studies and publishing, Vol.1, 2005.
15) Abdullah Buraimi, " iconic thinking towards semiotics for the interpretation of artistic work – production and reception," semiotics Magazine 5 2015.
16) Ali zeyour, " the dream and its interpretation in the Arab folklore," Journal of folklore 11-12 1980.
17) Glue Mehanna, "the symbol in folk tales," folk art magazine 34 1991.
18) Farouk Khurshid, " time and place in folk biography," Journal of folk arts, 43 1994.
19) Farooq Khurshid, popular biography literature. Cairo: Egyptian international publishing company-Longman, 1st, 1994.
20) Mohammed Rajab al-Najjar, the hero in the Arab folk epics – his issues and artistic features- .Egypt: Egyptian General Authority for writers, popular culture series, C2, C2, D.I, 2018.
21) Mohammed Rajab al-Najjar, one of the artists of popular literature in the Arab heritage. Egypt: General Authority for palaces of culture, P.2, D.I, 2003.
22) Murad Abdulrahman Mabrouk, the construction of time in the contemporary novel: The Novel of the stream of consciousness as a model. Egypt: Egyptian General Organization for writers, Dr.I, 1998.

23) Mansour bouish, the popular narrative in the Arab heritage: morphology and types.
24) Nabila Ibrahim, forms of expression in popular literature. Cairo: Dar Nahda Misr, Dr.I, Dr.C.
25) Nabila Ibrahim, the aesthetic ingredient of popular expression.
26) Nabila Ibrahim, biography of the princess with a zest-a comparative study. Egypt: academic library, 5th floor, 1994.
27) The blessing of Allah Ibrahim, Arabic folk biographies. Beirut: publications company for distribution and publishing, Vol.1, 1994.
28) Yusuf Ahmed Ismail, " the popular narrative between the power of exclusion and the eloquence of discourse," generation of literary and intellectual Studies journal, 31 2017.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898